أول يونيه سنة ١٩٣١ — الجزء الثانى
محرم سنة ١٣٥٠ — السنة الأولى

المعرفة

مجلة — شهرية — جامعة
لصاحبها ومحررها
عبد العزيز الإسلامبولى

شعارها : اعرف نفسك بنفسك

من جوامع الكلم

الصحافة والصحفيون

قال ساكن الجنان المغفور له السلطان حسين كامل ، فى إحدى جلسات « مجلس شورى القوانين » موجها الكلام إلى رجال الصحافة ما يأتى :—

« إن كل أمة متمدينة يجب عليها أن تحترم الصحافة ، ونود أن تكون معها يداً فى يد ، لنتعلم منها و تستفيد مما ينشر فيها من الفوائد ....

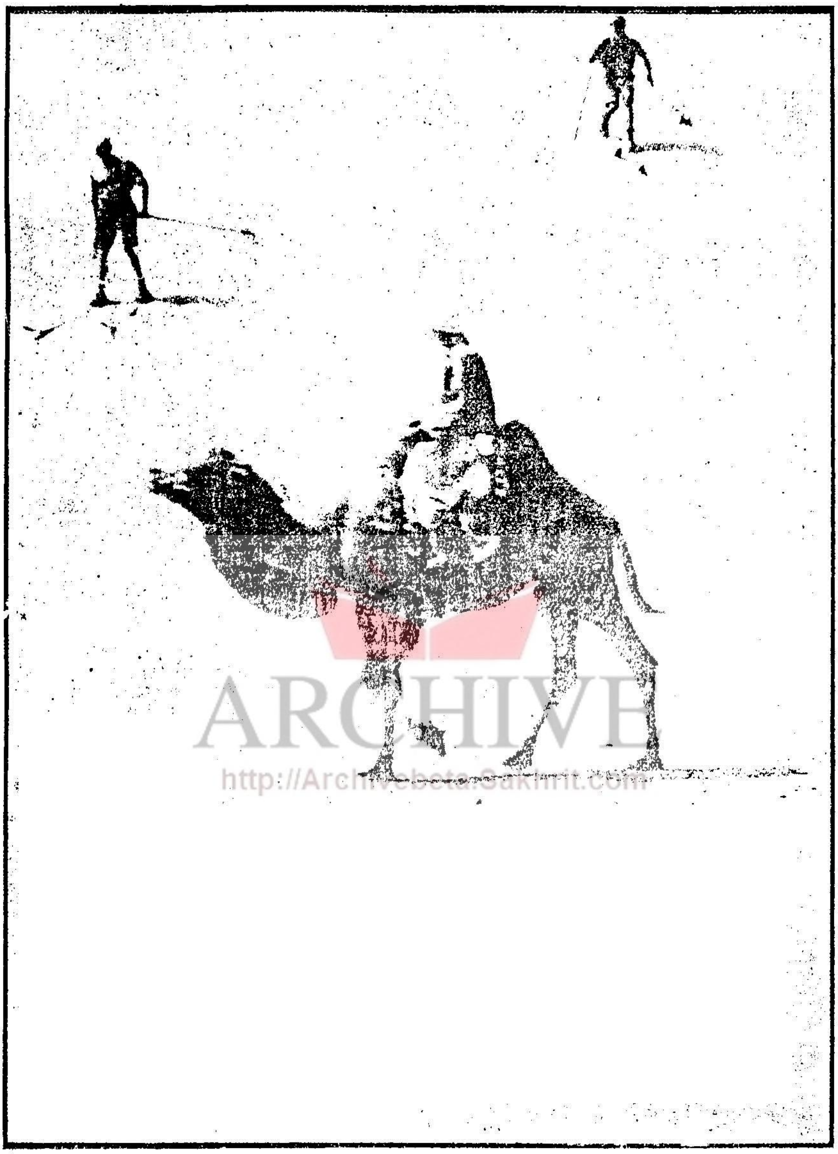
نتمنى ان يكون التعليم فى مصر إجباريا حتى يصبح الكل يطالعون الصحف و يستفيدون منها و يتنورون بما فيها ...

مكثت نحو الثمان سنوات تلميذاً فى أوروبا ، فرأيت أن تنور العامة جاء من مطالعة الصحف ...

الجرائد أكبر من أن تكون مهنة لتعيش أصحابها ، بل هى أشرف من ذلك ولها فوائد عامة عديدة

إننا نعتبركم جزءاً منا حيث تحضرون جلساتنا ونقبل بارتياح أن تنتقدوا أعمالنا ... وأنتم جميعا تعلمون مقدار احترامى لكم .... »

(مع الرحالة سفن هدن فى مجاهل اسيا)



جاب الرحالة الشهير الدكتور سفن هدن حديثا ، كثيرا من الأقطار الأسيوية السحيقة مثل صحراء جوبى وبلاد التبت والتركستان الصينية

وهذه الصورة ترينا أن الزحف على الرمال بواسطة الزحافات الخشبية شائع فى تلك الجهات الصحراوية كالزحف على الجليد فى أوروبا .

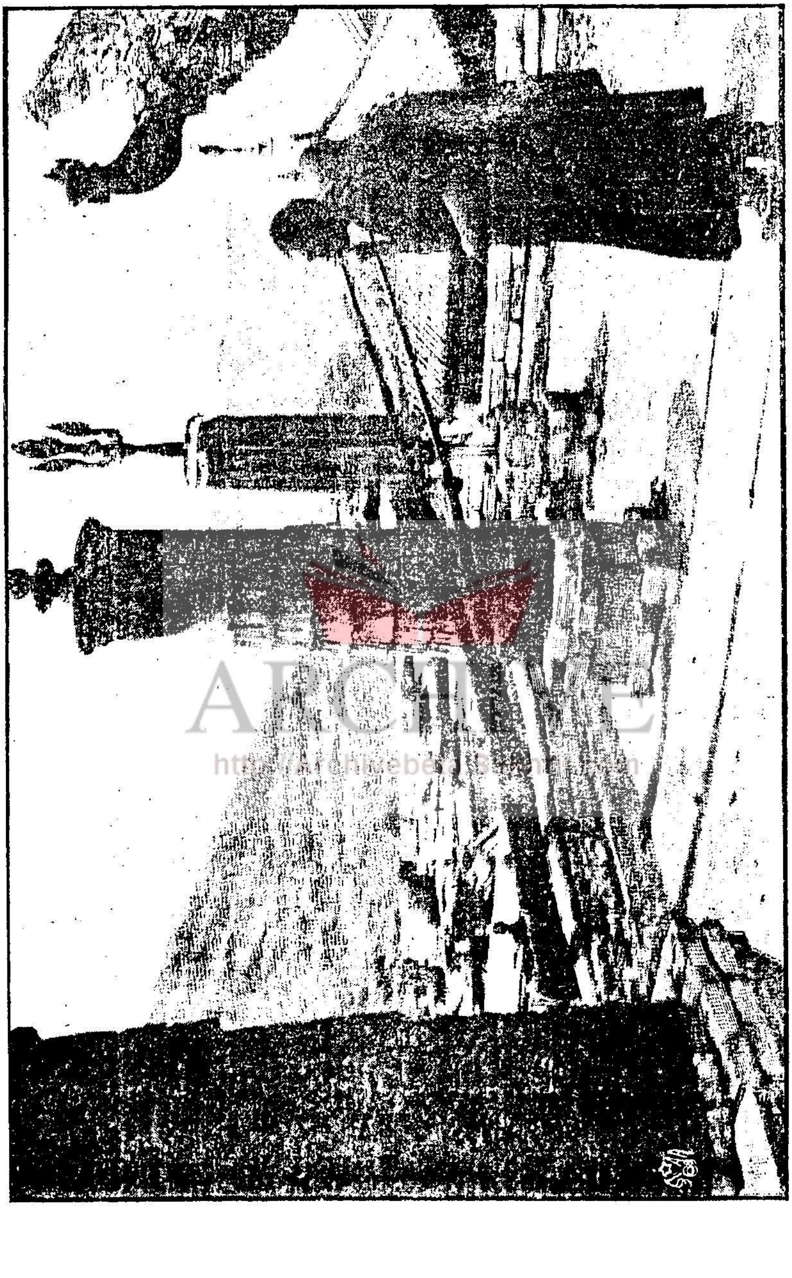


(أحد أعضاء الرحلة واقف بجوار جمله . وقد نفق جمل آخر بجانبه)



(أعضاء الرحلة يقطعون صحراء جوبي و بلاد التبت على ظهور الجمال)

(على سطح معبد من معابد التبت)



ترى الكهنة يدعون رجال الدين ، بالنفخ فى الأبواق لاجتماع دينى وإقامة الحفلات السنوية للرقص المقدس والتمثيل بالإشارات . ويلاحظ عدم الكلام مطلقا فى هذه الحفلات

نظرية المعرفة

وعلاقتها بالفلسفة والتصوف

بقـــلم محرر المجلة

— ٢ —

نشأة المعرفة

حدثتك فى الجزء الأول عن لفظ المعرفة لغـة واصطلاحا ، ووعدتك بالتحدث عن تدرج النظرية ونشأتها فنقول :

عند مابرز الانسان إلى هذا الوجود ، ورأى نفسه محاطا بمختلف الكائنات . تولته الدهشة مما يرى وأخذه العجب مما يسمع ، فاختلط عليه الأمر ، ولم يستطع تمييز الحابل من النابل ، أو التفريق بين المحسوس والملموس . وبمـا أنه بطبعه محب للاستطلاع وبغريزته ميال إلى الفهم . فقد حاول منذ بداءة أمره أن يستطلع أسرار الـكون ، ويتعرف حقائقه ، ويتفهم خوافيه ، على أنه أخذته الدهشة فساءل نفسه من أين أتى ، وماذا يرى ، وإلى أين ينتهى ؟

تلك أسـئلة ثلاثة ما تزال لغزا معقدا ، وما يزال النـاس يتلمسون السبل لحلها ، ويتخيرون الطرق للوصول إليها ، ومافتئت بالرغم من دقتها لغة الـكون إلى الآن ، ومذهب الوجود حتى الساعة ، وأقصد من ذلك أنها ما تزال لغة كل إنسان ، ومذهب كل من لم تثقفه الديانات

فالانسان فى التحقيق — يحس من نفسه الجهل بمـا يحيط به لأول وهلة . فيأخذ فى تصور ظواهر الأشياء ليـكون له فيها رأيا . ثم يجتهد فى تعرف عللها ، وتفهم علاقاتها بظواهرها ، وهذا كله ماكان يعمله الانسان منذ شعر بأنه موجود . على أنه شك فنظر . وفـكر فاعتقد . ثم حقق فعرف الحق . فأضحى عارفا بما رأى .

ونقول إنه حقق بعد أن اعتقد لأن كل ما يعتقده الأنسان لا يعد حقا إلا بعد التحقيق لما قد يكون بنى عليه البحث من تأمل عقيم أو معرفة ناقصة

تجرنا هذه المسألة إلى مسألة أخرى هى : أى الأشياء الخمسة كانت أول ماعرفه الأنسان فى تاريخ الفكر البشرى ؟ أهو العلم ؟ أم الدين ؟ أم الفلسفة ؟ أم الفن ؟ أم الأدب ؟

يختلف الناس فى هذا اختلافا كبيرا ، على أنه — فى الحق — خلاف لا يقدم قليلا ، ولا يؤخر كثيرا . ومهما يكن من خلاف ، فأنا نرى أن الفلسفة هى أولى الأشياء الخمسة ، ودليلنا على هذا أن أول ما صادف الأنسان هو الدهشة ، والدهشة كما يقول أرسطوطاليس : أول باعث على الفلسفة ، وبدليل ثان هى تلك الأسئلة التى ساءل الأنسان بها نفسه ، وهل تقوم الفلسفة إلا على تلك الأسئلة نفسها ؟ وبعبارة أخرى هل يوجد فى الفلسفة ماهو أشد تعقيدا من تلك الأسئلة نفسها ؟ وهاك دليلا ثالثا فى منتهى البساطة لا يحتاج إلى تعمل فكر أو إنعام نظر . ذلك هو ماتراه من الطفل يجبهك بالسؤال المعقد تلو السؤال الملغز ، فلا تستطيع له إجابة ، ولا تقدر على إقناعه إلا هربا ، وتخال نفسك عاجزا بإزاء إنسان متفلسف ، درس من الفلسفة أعوصها ومن الحياة بواطنها . أليس كل ماتقدم كافيا ليثبت لنا أن أول عهد للأنسان بالأشياء هو الفلسفة ؟ أوليست الفلسفة صورة من صور المعرفة التى يقوم عليها بنيانها ؟

وإذا كان الأنسان كما قلنا شك فنظر فهل يكون النظر فيما يشك فيه إلا فلسفة ؟

ننتقل إلى مسألة أخرى تلك مسألة العلم ، ونحن نرى أن العلم يتبع الفلسفة فى الترتيب ، فهو إذن الصورة الثانية من صور المعرفة ، ودليلنا على هذا هو أن الأنسان فى بدء عصره حينما رأى جذع الشجرة يحترق إذا ما اندلعت فيه النار علم أن قوام الشجر مادة قابلة للاحتراق ، ومن ثم علم أن جسمه — كمادة تتكون من جماد ، ونبات ، وحيوان — قابل للاحتراق أيضا

وعند ما علم أن العصا يغرسها فى الأرض فتصل إلى طبقة أرضية تخالف طبقة السطح ، علم أن هنالك طبقة أخرى أو عالما آخر يخالف عالم الأرض ذلك هو عالم الماء ، وهل هذا إلا علم طبقات الارض أو (جيولجيا) باليونانية ؟ كذلك عند ما أخذ يسير إلى العين أو البئر يستسقى منها ، علم أن هناك مناطق أخرى غير المنطقة التى يعيش فيها أو الغار الذى يسكنه ، وعند ما رآى النجم يظهر ويختفى والسماء تمطر وتبرق ، علم أن هنالك عالما من الكواكب ، وأجراما من الأفلاك تتطلب البحث والنظر ، وهل هذا إلا العلم نفسه ؟

ننتقل إلى ما نرى ترتيبه ثالثا ، وذلك فى نظرنا هو الدين ، والدين كما قدمت (فى الجزء الأول) صورة من صور المعرفة التى لا تتحقق إلا به ، وتلك الصورة ما كان ترتيبها إلا فى المرتبة الثالثة ، وذلك لأنها نتيجة الاعتقاد ، وما كان الاعتقاد إلا نتيجة البحث . على أن الدين لم يعرف كصورة من الصور البارزة إلا فى عصور الأنبياء المرسلين ، وإذا كان قد عرف قبل هذا فأن تاريخه على مانظن يرجع إلى تاريخ (طاو) وهو أول من وضع شريعة لأتباعه الطاويين فى الصين ، وذلك قبل الميلاد بأكثر من ثلاثين قرنا . وكذلك فى عهود الكتب الهندية والفارسية المقدسة كالفيدا والأفستا وغيرهما . ثم جاء البابليون ، والمصريون القدماء بعباداتهم التى تمثلوها فى الأصنام والتماثيل وغير ذلك من صور ، فكان كل هذا نتيجة تفلسف وتعلم . ونود أن نلفت القراء الى معنى الصورة البارزة الذى نقصده . وإلا فأن آدم عليه السلام وهو أول نبي خلقه الله ليعرف به ، ومعرفة الله تعالى لا تتم بغير الدين .

ننتقل الى النقطة الرابعة فنقول : استتبع الدين لتأييده فى النفوس واستقراره فى القلوب أن يتلمس صورا وأشكالا تخيلها الكهنة فى إقامة الهياكل والمعابد والأصنام ، فكانت تلك المظاهر بذور الفن وجرثومته الأولى ، وإذن فقد كان الفن بعد الدين مباشرة

على أن الأنسان حاول أن يظهر ماتكنه نفسه من شعور نحو هـذا الفن المعهود ، و يسر بمـا يتمثله فىذات نفسه إلى ذلك الأله الممثل فى الصنم . فكان الشعر ، وكان النثر ، وكانت الأساطير ، وكانت إليازة هوميروس ، وأودساه ، وهما أثران يثبتان لنا ما اعترك فى النفوس من تخيلات فى آلهـة الخير والشر والقوة والجمـال . فأنت تسمع اسم أبولون ، وأفروديت ، والزهرة وغير ذلك من أسماء ومسميات

نستخلص من كل ما تقدم أن التاريخ الفكرى للمعرفة ابتدأ بالفلسفة ، فالعلم ، فالدين ، ثم الفن ، فالأدب . ذلك هو تاريخ مقومات النظرية فى نظرنا نحن ، وندع رأى الغير جانبا حتى تقوم لنا الأدلة على صحته

بقى الكلام على التصوف . ونرى أنه باعتباره « المعرفة العليا » يتطلب منا بحثا بل بحوثا خاصة نطرقها فى المستقبل إن شاء الله

و بقى أن نعرف كيف نشأ الخلاف فى صور المعرفة ، وفى طبيعتها ، وفى حدودها ، و فى طرق تحصيلها ، ونجيب على هـذا فنقول . إن أول من سبب الخلاف فى تلك النظرية إنما هم فلاسفة اليونان ، ويرجع هـذا الى أنهم كانوا ينظرون إلى الأمور بنظر يفوق نظر السذج ، ويتدبرون المسائل بفكر يفوق أفكار العامة من الناس . فكان ثمة اختلاف ، وكان تباين وتضارب ، ومن ثم قام الخلاف على ما يأتى . إذا كان ما يراه إنسان بعقله حقا فلماذا يراه آخر باطلا ؟ و إذا كان الأنسان يرى أن الباعث له على تطلب المعرفة إنما هو سد حاجيات النفس ، و إشباع شهوته الجسدية . فلمـــاذا يتطلبها آخر لأشباع غريزة حب الاستطلاع ، و إرواء ظمأ نفسه المتعطشة الى العلم ؟

و إذا كان العقل الذى يرى أن العددين يكونان اثنين ، وقد تلائم مع العقول المختلفة ، و تواضع مع الأفهام المتباينة على ذلك . فكيف إذن يكون الخلاف فى النظر إلى صور المعرفة ؟

ذلك ما نرجىء القول فيه الى فرصة أخرى والله المستعان ؟ المحرر

هل للمعرفة طريق باطنية ؟

للأستاذ الفيلسوف فريد بك وجدى

كتبنا فى الجزء الأول من هذه المجلة النافعة مقالا تحت عنوان « مسألة المعرفة » وقد عالجناها على الأسلوب الفلسفى المقرر ، ولكن هذا الموضوع أثار لدينا مسألة أخرى ، وهى هل للمعرفة طريق غير طريق الحواس الخمس ؟ و بعبارة أخرى هل تصل للإنسان معارف من طريق باطنى غير الطريق الخارجى المعروف ؟

اختلف الفلاسفة قديماً وحديثاً فى هذه المسألة على فرقتين . فقرر الماديون منهم ، بأن لا طريق للمعرفة إلا الحواس الخمس المتصلة بالعالم الخارجى وأن لا مصدر لأية معرفة غيره ، إذ لا يوجد عالم فوقه تتأدى منه معارف صحيحة ، غير الخيال البحت

وذهب الروحانيون من الفلاسفة ، إلى أن للمعرفة طريقا باطنية أخرى ، تصل بين نفس الإنسان والعالم الروحانى ، يدركها الذين يعملون على تخلية نفوسهم من القواطع المادية ، فيحصلون من هذا الطريق على معارف قيمة تعلو عن متناول سواهم من الواقفين مع الظواهر ، ومن هذا القبيل معارف الأنبياء والمرسلين ، ومن اتبع تعاليمهم من المتصوفة والمتبتلين ، وقد غصت بها تواريخ الشعوب ، بل قامت عليها فرق ومذاهب ، لا تزال تتوزع النوع البشرى بأسره إلى اليوم .

هذه المسألة تتصل بمسألة الوحى وما إليه ، ولسنا هنا بسبيل إثبات صحته ، فالكلام فيه يتشعب ويطول ، ولكنا بسبيل البحث عن مسألة الطريق الباطنى للمعرفة من ناحية صحتها أو بطلانها ، وكذلك نقصر الكلام عليها فنقول :

أصبحت الطريق الباطنية للمعرفة ، بعد اكتشاف النوم المغناطيسى ،

من الأمور التى يمكن الاستدلال عليها ، بالتجربة على الأسلوب العملى البحت ، فكلنا يعرف ما يردده علماء النفس والباحثون فى النوم المغناطيسى ، من كلمة العقل الباطنى ، فقد أصبح هذا العقل الباطنى من الأمور المشاهدة ، إلى حد أن إنكارها أصبح مما لا يطمع الماديون فيه ، فكيف نرى هـذا العقل الباطنى وما هو فى حقيقته ؟

أما كيف نراه فرؤيته من أيسر الأمور وذلك أن ينوم أمامك أى إنسان فتجده عند ماتتعطل حواسه العادية و يقع فى النوم فعلا ، قد تقمص شخصية أرقى من شخصيته ، شخصية عاقلة رزينة ، واعية لتفصيلات تاريخه الماضى ، بحيث لا يغيب عنها أدق دقيق منها ، و إذا بحثت فى خصائص هذه الشخصية من قرب ، وجدت أنها هى التى تدبر حركات أعضائه وأجهزته ، وترمم ما يفسد منها بأيتائه بمقوماتها ، وتدبر حياته الجسدية والعقلية تدبيرا محكما وهو غافل عن ذلك يرتكب فى جمحاته و إفراطاته ما يفسد نظامها ، و يفرق وحدتها ، وقد شوهد أن هذا العقل لا يتأثر من إصابات الجسد ، كما تتأثر الشخصية العادية ، فأذا أصاب أحدنا مرض فى بعض أجزاء مخه ، تأثرت لذلك خصائصه العقلية على نسبتها ، ولكن العقل الباطنى يظل سليما فى جميع أدوار الأصابات المخية ، فيبقى حافظا لجميع مميزاته ، كأنه مستقل عن الجسد استقلالا تاما ، فأذا أصاب المخ مرض فأضاع الذاكرة كلها أو بعضها ، أوفقد صاحبه القدرة على قراءة الأحرف كلها أو بعضها كما يحدث فى بعض الحالات ، وأنيم هذا المصاب نوما مغناطيسيا وجـــدت عقله الباطنى سليما حاصلا على جميع خصائصه وقد يسأل فيدل على مرض صاحبه دلالة تعلو عن متناول أدق تشخيص طبى

وقد شوهد أن لهذا العقل الباطنى اتصالا بالأرواح المجردة فأذا أنمت شخصا نوما مغناطيسيا ، وسألته أن يتصل بقريب له من الذين ماتوا ، لم يتكلف لذلك كبير عناء ، ويأتيك عنه بصادق الأنباء

ومن أغرب الأمور أن لهذا العقل الباطنى خصائص أعم من خصائص العقل العادى ، فهو يعرف كل مايجول بالعقل العادى ، ويذكر مايحصله من المعلومات ، على حين أن العقل العادى يجهل وجود العقل الباطن ، ولا يذكر من حياته الباطنية شيئا

وقد ثبت من استقراء أحوال النفوس أن الألهامات الصالحة التى يحس بها الأنسان فى نفسه متى اعتركت فيها نزعتان : (نزعتا الخير والشر) شوهد أن مصدرها هذا العقل الباطن ، حتى ذهب بعضهم أن وحى الأنبياء هو من إلهامات عقولهم الباطنة ، وليس هنا موطن تحقيق هذا القول فندعه حتى حين

من أعجب مظاهر المعرفة الحاصلة من طريق العقل الباطنى ، ماعنى بجمع طائفة منه علماء كثيرون ، من أشهرهم الأستاذ الكبير فريدريك ميرس FR. MYERS مدرس علم النفس بجامعة كمبردج فى كتابه (الشخصية الأنسانية) HUMAN PERSONALITY فقد ذكر منهم الحاسبين على البديهة ، وهم طائفة من الناس تلقى عليهم أعوص المسائل الرياضية التى تحتاج لزمن طويل فى التفكير والعمل فيجيبون عليها على الفور وهم لايدرون كيف وجدت هذه الحلول فى نفوسهم ، فقال : كان المستر (بيدلر) يجد لوغارتم عدد مؤلف من سبعة أو ثمانية أرقام على البديهة ، أى يجد العوامل الى إذا ضرب بعضها فى بعض أنتجت مثل هذا المجموع الضخم

ونقل الأستاذ ميرس عن المطران الأنجليزى (واتلى) أن كتب عن نفسه يقول « إن فى خاصتى الحسابية شيئا من الميزة فأنها ظهرت فى وأنا بين الخامسة والسادسة من عمرى ودامت معى ثلاث سنين ، ولما بلغت السن التى بدأت فيها الدراسة زالت هذه الخاصة منى ، فكنت فى ذلك الحين من أضعف التلاميذ فى الرياضة »

قال الأستاذ ميرس : إن حالة الأستاذ (ستافورد) أعجب مما تقدم وهو الآن أستاذ فى علم الفلك لايعلو عن أقرانه فى الحساب العقلى ، مع أنه كان وهو فى

العاشرة من عمره يعمل غيباً وبدون أن يخطىء مسائل من الضرب حاصلها يتكون من ٣٦ رقما

قال وكان للمستر (فان . ر. دوتيكا) وهو فى السادسة من عمره خاصة فى الحساب العقلى ممتازة زالت بعد سنتين ، ولم يكن هو نفسه يدرى على أى أسلوب تسير فى نفسه هذه الأعمال الحسابية

قال الأستاذ ميرس : « وكان (بوكستود) يحل مسائله وهو يتكلم حرا فيما تريد الكلام فيه مما هو خارج عن الحساب الذى ألقى إليه »

قال وحكى الرياضى المشهور (أراغو) عن نفسه فقال :

« اعتدت أنى بدلا من أن أجهد نفسى فى فهم مسألة فى الجلسة التى ألقيت إلى فيها كنت أسلم مؤقتا بأنها صحيحة ، فأذا جاء اليوم التالى أدهش من فهمى كل الفهم لما كان قد ظهر لى معضلا فى اليوم السابق »

وقال ميرس وروى (كوندياك) أنه كان غالبا يجد أن عملا لم يتم بالأمس قد تم اليوم فى عقله بدون جهد منه

قال وقد روى المسيو (رينه) الشاعر للدكتور (شابانيكس) بأنه قد ينام غالبا وهو يعمل قطعة من الشعر لم تتم ، فيستيقظ فيجدها تامة فى اليوم التالى عندما يفكر فيها

قال وقد كتب الشاعر المشهور (موسيه) عن نفسه يقول : « لا اعمل شيئاً ولكنى أسمع فأنقل . فكأن إنسانا مجهولا يناجينى فى أذنى »

وكتب لامارتين الشاعر الفرنسى الكبير يقول : « لست أنا الذى يفكر ولكن هى أفكارى التى تفكر لى » .

قال ميرس : وكان سانت ساينس مثل سقراط يسمع بأذنيه ما تلقيه الروح إليه

وقد أثبت الباحثون فى النفس من ناحية اتصالها بالأرواح المجردة ، أن هذا الاتصال ممكن حتى والأنسان فى حالته الاعتيادية ، كما يحدث من استيلاء

روح على يد إنسان والكتابة بها ، بينما يكون صاحب هـــذه اليد مشغولا بالكلام مع إخوانه ، وقد شهد رجال من عظماء الناس بأن لبعضهم هذه الخاصة ، وقد أشهدوها لمئات من الباحثين ، فقد كان زعيم الصحافة الأنجليزية المستر (ستيد) واحدا من هؤلاء ، ومثله الكاتب الفرنسى المشهور (ساردو) فقد كانت تستولى على يده قوة خفية لا يستطيع مقاومتها ، وتحدث صورا تعد من نوادر الفن ، على حين أنه هو نفسه فى حالته الاعتيادية لا يستطيع رسم أبسط الأشياء ، وقد حفظت هـــذه الصور فى دار الآثار الروحية ولا تزال بها إلى اليوم ، فى المجمع الروحانى العلمى بباريس

وقـــد ثبتت كل هذه الأمور ثبوتا علميا لا يدع محلا للشك فى نفس أى باحث يريد الوصول إلى الحقيقة

وإذا ثبت كل هذا ، فالنتيجة المباشرة له تكون هذه : وهى إن للمعرفة طريقا باطنية غير طريق الحواس ، تستطيع أن تحصل منها النفس على معارف قد تكون أقوم مما تحصله لها المشاعر ، ويسهل من هذا الطريق فهم الوحى ، الذى كان ينزل على الأنبياء عليهم السلام ، فأنه إذا تقرر إمكان اتصال أرواح إنسانية مجردة بالشخص وإمداده بالمعلومات ، فيسهل تصور اتصال أرواح ملكية ببعض الناس ، وإمدادهم بمعارف علوية لهداية الخلق ، فيكون العصر الذى نعيش فيه قد آتى الأنسان بدليل على النبوات من طريق الحس ، لم يكن لآبائنا الأولين ، الذين لم تتعد أدلتهم القضايا المنطقية

نكتفى هنا بهذا القدر ، فى هذا الموضوع الخطير ، ولعلنا نوفق فى العود إليه متى أمكنتنا منه الفرص . وبالله التوفيق ؟

محمد فريد وجدى

(المعرفة) لعل أستاذنا الجليل يتفضل علينا فيزيدنا علما بهذا البحث القيم ، حتى نستطيع تبيان الفروق بين من يرون المعرفة معلقة على الحواس ومن يرونها معلقة على النفس والروح ؟

الثقافة والمثقف

للأستاذ الدكتور منصور فهمى

هذا موضوع طريف البحث ، أملاه الأستاذ الدكتور منصور فهمى منذ شهر تقريبا ، وقد طلبت اليه الجامعة الأمريكية أن يحاضرها فيه . وألقى الأستاذ خلاصة منه بقاعة يورث التذكارية بتاريخ ٥ مايو سنة ١٩٣١ تحت عنوان (كيف يلوح الرجل المثقف)
وها نحن أولاء ننشر بعض ما حصلنا عليه من المذكرات التى أخذناها من الدكتور ؟
المحرر

كلمة ثقافة من الكلمات ذات الصور الرائعة التى تسكن إليها النفس ، والعبارات الشائعة التى أضحت من مستلزمات العصر . لهذا أود أن أتحدث حول معنى الثقافة والمثقفين من الناس ، و إن معنى الثقافة وصور المثقفين لمن أعلى المعانى وأروع الصور ، وفضلا عن ذلك فأن الكاتب الذى تتاح له فرصة الكتابة فى موضوع يتعلق بالأنسان كالذى نحن بصدده — يكون أقرب إلى نفوس من يتحدث إليهم أكثر ممن يتحدث فى أمر لا يرتبط بالأنسان ذاتا . ومهما يكن من اهتمام العقول بكل أمر و كل موضوع فأن اهتمامها يبدو أشد بكل ما يتعلق بالأنسان وللأنسان ، ولقد أصاب الفيلسوف الفرنسى (أوجوست كومت) إذ جعل العلوم الاجتماعية أو علوم الأنسان فى أعلى الدرج العلمى ، وليس ذلك لشدة تشعب هذه العلوم وجدتها ولا لتعقيدها وحاجتها لقوة التفكير فحسب بل لأن موضوعها هو الكائن الذى له فى نظر نفسه أسمى مركز فى الوجود

على أننى إذا كنت أقبل معالجة هذا الموضوع بالاغتباط ، فأننى لا أستطيع أن أخفى على نفسى الصعوبات التى تظهر عند البحث فيه ، وذلك لأن كلمات : الثقافة والتثقيف والمثقف وما إليها ، كلمات استعملت حديثاً للدلالة على معان

جديدة كانت من خلق هـذا الزمن الحديث وحاجاته . فمن نيف وثلاثين عاما وضع الألمـان كلمة ثقافة فى لغتهم الأدبية بجانب كلمة حضارة ليستدلوا بالأولى على النواحى الأدبية والمعنوية التى يحرص الأنسان على تمجيدها والانتفاع بها ، وليستدلوا بالكلمة الثانية على النواحى الصناعية والفنية التى أنتجها العلم والتى تحرص الأنسانية على الاستمتاع بها ، وعلى أثر ذلك دخلت لفظة ثقافة فى البلاد اللاتينية والبلاد الأوروبية الأخرى بشىء من الشدة والمقاومة حتى استقرت العبـارة فى التواضع والاستعمال ليستدل بهـا على النواحى الأدبية فى مدنية من المدنيات

وعند احتكاك الأمم العربية بالأمم الغربية ولغاتها وآدابها ، دخلت هذه اللفظة فى العربية من نحو عشر سنين تقريباً ، ويرجع الفضل فى إدخالها إلى طائفة من الـكتاب المعاصرين . كنت أود أن أتحقق من معرفة أول واضعها لأنوه باسمه وعلى كل حال فأن كلمة ثقافة على جدة مدلولها سواء أ كانت باللغات الأفرنجية أو العربية فأنها قديمة من حيث هى حروف ومخارج أصوات

وشأن الـكلمات شأن الكائنات الحية ، فقد تطور فى معانيها بمعنى أنها تدل على مالم تـكن لتدل عليه تمـاما فى زمن سابق

لوكان مايمر بذهنك من المعانى يصور إدراك الأمور على حقيقتها فى إتقان لكان لك أن تقنع فى حاجات التخاطب بكلمات التعلم والمتعلم وما إليها . ولو كان مرادك تصوير المعانى التى يشار بها إلي المهارة والحذق لـكان لك أن تستخدم لفظ الفطنة

وقد استخدمت عبارة الثقافة فى ذلك المعنى ، وفى معنى الظفر فقال ابن دريد : ثقفت الشىء حذقته . وقال الله تعالى « واقتلوهم حيث ثقفتموهم » وقد استعملت لفظة الثقافة فى وقت ما ليستدل بها على اللعب بالسيف قال الشاعر :

وكأن لمع بروقها فى الجـــو أسياف المثاقف

وقد استخدمت لفظة « الثقاف » لآلة تقوم بها الرماح إذا اعوجت . لـكن

شيئاً من ذلك كله لا يراد من عبارة ثقافة فى هذا العصر ، وفى لغتنا العربية التى نتفاهمها فى الأدب والكتابة وإنما يراد شىء آخر ، فأذا قال إنسان عن آخر إنه مثقف فانما يريد بذلك أن يصور للمخاطب صورة خاصة ليست هى صورة المتعلم ، ولا صورة الفطن ، ولا صورة الفاهم ، ولا صورة الظافر فحسب ، ولكنها صورة أخرى نريد أن نحددها تحديدا حتى تظهر بعينها وفى حدودها ، عند ما نلفظ لفظة الثقافة ، أو ما يشتق منها

ويخيل إلى أن أفضل أسلوب لتحديد الصورة الذهنية لمعنى الثقافة الجديد ، وضبطه فى أذهان المتعاملين بهذا اللفظ ـ يخيل إلى أن خير أسلوب فى ذلك هو أن نبين ما الذى تدل عليه عبارة المثقف عند أهل الغرب ، وكيف تلوح عندهم صورة الأنسان المثقف ، وبما أننا قد اقتبسنا اللفظة عنهم فأن المعنى المراد بها إذا هو تحدد على نحو ما حدده الغربيون يصبح آمنا من الفوضى فى إدراك المعنى وحقيقته . فمن هو الرجل المثقف إذن عند الغربيين ؟

إذا كان هذا اللفظ كما أسلفنا هو من الألفاظ المتواضع عليها فى العصر الحاضر ليستدل به على معان صدرت عن هذا العصر دون غيره ، فمن الخير أن نبحث فى أجلى المميزات الأدبيـة للعصر الحاضر ، لكى نتبين منها ما استوجب استعمال لفظ الثقافة لمعان جاء بها هذا العصر .

من أهم ما يمتاز به العصر الحالى أن حياته تقوم على نشر التعليم وتعميمه باتخاذ الوسائل الكثيرة المؤدية لذلك ونقصد بالتعليم ذلك العمل الأنسانى المبذول على أسلوب يحفظ للأنسانية أهم الطرائق التفكيرية التى تمكن الناس من الانتفاع بالجهود المتواصلة المثمرة والتى قامت بها الأجيال المتعاقبة والعقول المتتابعة بما فيه خير البشر منذ عرف البشر لنفسه تاريخا

وإن هذا التعليم الذى يرشد الأنسان لاستخدام منتوجات الفكر البشرى أصبحت تقوم به معاهد العلم المنتشرة فى أكثر البلاد المتمدينة ، والتى تساعدها

فى ذلك وسائل النشر المختلفة من صحافة ونشرات ودوريات وما إلى ذلك من وسائل الأذاعة المختلفة

وقد أخذت معاهد العلم تقوم بمهمة تعميم التعليم وفق منهاج مترابط الأوصال ، بحيث أصبح من العسير أن يتفقه العقل فى جزء من أجزاء حلقة المعلومات دون معونة من الحلقة الأخرى ، ولكى تنتفع العقول بمجهودات تاريخ الفكر البشرى كان لابد للمرء أن يحصل على أهم أجزاء تلك السلسلة العلمية التى هى الوسيلة للتثقيف ، وذلك يكون عند نهايات التعليم الثانوى وبدايات التعليم العالى ، أو بعبارة أخرى عند مايبلغ الأنسان سن الرشد ويدخل فى الميدان الذى يؤهله للتخصص فى عمل من الأعمال . وإن هذا العصر الذى نعيش فيه وتتجلى فيه المدنية الحاضرة تمتد أصوله إلى الماضى البعيد . فأذا أريد إدراك روح هذا العصر أو الألمام به من ماضيه وحاضره كان لابد من أن يتعلم الأنسان ماهو متصل بذلك الماضى ، وماهو متصل بهذا الحاضر . لذلك حرص الغربيون على أن يلقنوا أبناءهم المتعلمين تاريخ المدنيات المختلفة التى أثرت فى مدنية الغرب ، ومن ثم قادهم لشدة العناية بتعلم اليونانية واللاتينية لما كان لليونان والرومان من أثر فى حياة المدنية الغربية الحاضرة

ومن ثم كان الاهتمام بلغات اليونان والرومان وآدابهما ، للانتفاع بما فى الأدبين أو بما فى المدنيتين من خير يحتاج إليه الأنسان من حيث هو إنسان

وفى حرص أوروبا على تعليم آداب اليونان والرومان لناشئتها ، مايدل على أن فى هاتين المدنيتين جانباً إنسانيا خالصا لايستغنى عنه ، ورغم تعاقب السنين لم يكن للخلف أن يهمل هذا الجانب أو يفرط فيه لصلاحه وقوته . فأساليب المراثى ، والمآسى ، والقصص ، والخطابة ، والفلسفة ، والعلم . كل ذلك قديماً نما نمواً قويا فى مدنية اليونان ، وانتقل إلى مدنية الرومان التى لم ترفع منه إلا الأثر المحلى فاصطنع الرومان أساليب اليونان لأنفسهم ، ثم دخل العصر الحديث مع القرن السابع عشر فأخذ الغربيون ما استخلصه الرومان من مناهج اليونان فى التفكير

والآداب ونقى أهل هذا العصر تلك الأساليب من صبغاتها المحلية ليستبقوا منها العـام الشائع

وفى العصر الحديث ظهر تمجيد العقل : فديكارت لايعتمد إلا عليه فى نقده ومنهجه ، ولاروشفوكولد لايعتمد إلا عليه فى معرفة الدوافع الخلقية ، و باسكال يؤيد الدين بالعقل ، وبوسويه يفلسف فى التاريخ معتمدا على العقل ، وبوالو يعتمد العقل فى نقده للادب ، وفينلون يبحث عن خير أساليب الحكم والحكومات معتمدا على توجيه العقل وجهوده ، وموليير يستخدم العقل والنقد العقلى لرسم الرذائل الفاشية وفهم عيوب الناس

والخلاصة إذن ممـا تقدم هى أن الأركان التى تقوم عليها صورة التهذيب الفكرى . أو التثقيف الذهنى عند الغربيين تنحصر فى معرفة السبل التى يرى العقل أن لايتجاوزها لغيرها ليصل إلى غايته من إدراك حقائق الأمور ، وهذه السبل تتجلى أولا فى الألمـام بمجهودات العـقل فى المـاضى ، تلك المجهودات التى تتجلى عند الغربيين فى الخلاصات الدقيقة لفلسفة اليونان والرومان وآدابهما ، ثانيا فى الالمـام بالحياة الحاضرة على ماهى عليه بمعنى أن يدرك المرء أهم الحقائق التى كشف عنها العقل وأقرها العلم

على أننا لو نظرنا إلى خلاصة المجهودات الفكرية عند اليونان والرومان فى أوج عزهم لوجدنا أنها تنتهى إلى تسامى العقل للتفكير ، وتسامى الذوق ليحس بالجمال والفن الجميل ، وتسامى السلوك عن أن ينحرف فى مهاوى الشر . وإن فى تسامى العقل والذوق والأرادة معنى تسامى النفس البشرية

وعلى ذلك فأن مطمع التعاليم المهذبة المثقفة فى دور التعليم الثانوى على ماينبغى أن يكون عليه التعليم الثانوى ، هو أن يعمل على مافيه رفعة النفس ومافيه طريق إلى طبيعتها الأنسانية العالية ، وأن تعرف الأنسان أهم أصول العـلم ، وتطبيقاته الفنية التى تسهل بها أساليب الحياة وتترفه

تلك هى إذن أصول التعاليم المثقفة . ولا يصح أن يسمى الأنسان مثقفا إلا إذا كان ذا إلمـام بهذه الأصول ؟

(للبحث بقية)

نشأة كلمة صوفى ومتصوف
وأصلهما

للأستاذ الجليل الشيخ مصطفى عبد الرازق

— ١ — كان الأقبال على الدين والزهد فى الدنيا غالبا على المسلمين فى صدر الأسلام ، فلم يكونوا فى حاجة إلى وصف يمتاز به أهل التقى والعكوف على الطاعات والانقطاع إلى الله ، ولم يتسم أفاضلهم فى الجيل الأول بتسمية سوى صحبة رسول الله ، إذ لا أفضلية فوقها ، فقيل لهم الصحابة ، ولما أدركهم أهل الجيل الثانى سمى من صحب الصحابة بالتابعين

فلما فشا الأقبال على الدنيا فى القرن الثانى وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة المتاع الدنيوى قيل للخواص ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد

ثم ظهرت الفرق الأسلامية فادعى كل فريق أن فيهم زهادا وعبادا ، هنا لك انفرد خواص أهل السنة المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة ، واشتهر هذا الاسم قبل المائتين الهجرة ، فهو اسم محدث بعد عهد الصحابة والتابعين . و يقول بعض العلماء : إن هذا الاسم معروف فى الملة الأسلامية من قبل ذلك ، بل يذهب بعضهم إلى أنه لفظ جاهلى عرفته العرب قبل ظهور الأسلام

قال أبو نصر عبد الله بن على السراج الطوسى المتوفى سنة ٣٧٨ هـ — ٩٨٨ م فى كتاب « اللمع » فى التصوف « وأما قول القائل إنه اسم محدث أحدثه البغداديون فمحال ، لأنه فى وقت الحسن البصرى المتوفى سنة ١١٠ هـ » كان يعرف هذا الأسم وكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم وقد روى عنه أنه قال : رأيت صوفيا فى الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه وقال : معى أربعة دوانيق فيكفينى مامعى .

وروى عن سفيان الثورى رحمه الله (المتوفى سنة ١٦١ هـ) أنه قال : لولا

أبو هاشم الصوفى ما عرفت دقيـــق الرياء (وأبو هاشم الصوفى توفى سنة ١٠٥ وقيل إنه أول من سمى بالصوفى) وقد ذكر فى الكتاب الذى جمع أخبار مكة عن محمد بن اسحاق بن يسار « المتوفى سنة ١٥٠ ه وعن غيره يذكر فيه حديثا : إن قبل الاسلام قد خلت مكة فى وقت من الأوقات حتى كان لا يطوف بالبيت أحد ، وكان يجىء من بلد بعيد رجل صوفى فيطوف بالبيت وينصرف ، فأن صح ذلك يدل على أن قبل الاسلام كان يعرف هذا الاسم ، وكان ينسب إليه أهل الفضل والصلاح والله أعلم »

فاستعمال لفظ صوفى ومتصوف لم ينتشر فى الاسلام إلا بعد عهد الصحابة والتابعين ، وسواء أكان هذا التعبير عن الزاهد بالصوفى حدث فى أثناء المائة الثانية كما هو رأى ابن خلدون (المتوفى سنة ٨٠٦ ه سنة ١٤٠٦ م) فى مقدمته ، ورأى ابن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨ ه — ١٣٢٧ م) فيما نقله عنه صاحب كتاب « جلاء العينين فى محاكمة الأحمدين » أم كان هذا التعبير معروفا فى الاسلام قبل القرن الثانى أم كان لفظا جاهليا على ماذكره صاحب « اللمع » الذى يحاول أن يبرىء الصوفية من انتحال اسم مبتدع لم يعرفه الصحابة ولا التابعون

أما الأستاذ لوى ماسينيون فيقول فى كتابه : « مجموع نصوص لم يسبق نشرها متعلقة بتاريخ التصوف فى بلاد الاسلام » المطبوع فى سنة ١٩٢٩ بباريس ، عند كلامه على عبدك الصوفى المتوفى حوالى سنة ٢١٠ ه - ٨٢٥ م : « صاحب عزلة بغدادى وهو أول من لقب بالصوفى ، وكان هذا اللفظ يومئذ يدل على بعض زهاد الشيعة بالكوفة وعلى رهط من الثائرين بالاسكندرية وقد يعد فى الزنادقة بسبب امتناعه عن أكل اللحم » ويريد الأستاذ أول من لقب بالصوفى فى بغداد كما يؤخذ مما نقله فى نفس الكتاب عن الهمذانى ونصه : « ولم يكن السالكون لطريق الله فى الأعصار السالفة والقرون الأول يعرفون باسم التصوف ، وإنما الصوفى لفظ اشتهر فى القرن الثالث

وأول من سمي ببغداد بهذا الاسم « عبدك » الصوفى وهو من كبار المشايخ

وقدمائهم ، وكان قبل بشر بن الحارث الحافى (المتوفى سنة ٢٢٧ هـ) والسرى بن المفلس السقطى «المتوفى سنة ٢٥٣»

— ٢ — أما أصل هذا التعبير فالأقاويل فيه كثيرة : فمن مرجح أنه لفظ جامد غير مشتق كالقشيرى «المتوفى سنة ٤٦٥» وقد جاء فى «الرسالة مع شرحها» لشيخ الأسلام زكريا الأنصارى المتوفى سنة ٩٢٦ هـ — ١٥١٩ م ، : (وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس بين ولا اشتقاق كذلك ، لأن مصدر «صفا» صفو بتأخير حرف العلة عن الفاء . والأظهر فيه أنه غير مشتق بل هو جامد كاللقب) ومن قائل إنه مشتق من (الصفاء أو الصفو) والمراد صفو قلوب أهل التصوف وانشراح صدورهم ورضاهم بما يجريه الله عليهم ، ثم إنهم مع الله فى صفاء لايشوبه شاغل . وهم بما أطلعهم الله عليه قد صفوا من كدر الجهل قالوا : وكان فى الأصل (صفوى) فاستثقل ذلك فقيل «صوفى» ومن قائل : إن اللفظ مأخوذ من «الصوف» لأن لباس الصوف كان يكثر فى الزهاد . قال صاحب «اللمع» : فلما أضفتهم إلى ظاهر اللبسة كان ذلك اسما مجملا عاما مخبرا عن جميع العلوم والأعمال والأخلاق والأحوال الشريفة المحمودة

«ألا ترى أن الله تعالى ذكر طائفة من خواص أصحاب عيسى عليه السلام فنسبهم إلى ظاهر اللبسة فقال عزوجل : «وإذ قال الحواريون» الآية . وكانوا قوما يلبسون البياض فنسبهم الله تعالى إلى ذلك ولم ينسبهم إلى نوع من العلوم والأعمال والأحوال التى كانوا بها مترسمين ، فكذلك الصوفية عندى والله أعلم نسبوا إلى ظاهر اللباس ولم ينسبوا إلى نوع من أنواع العلوم والأحوال التى هم بها مترسمون . لأن لبس الصوف كان دأب الأنبياء عليهم السلام والصديقين وشعار المساكين المتنسكين»

وقيل فى تسمية أصحاب عيسى عليه السلام بالحواريين . إنهم كانوا قصارين يغسلون الثياب أى يحورونها . وهو التبييض

وقال قائلون : إن الصوفية نسبة إلى الصفة التي ينسب إليها كثـــير من الصحابة فيقال : أهل الصفة — وأهل الصفة هم زهاد من مهاجرى الصحابة فقراء غرباء كانوا سبعين و يقلون حينا و يكثرون لامسكن لهم ولا مال و لا ولد يسكنون صفة المسجد . وهو موضع مظلل فى مسجد المدينة . وكانوا ينتظرون من يتصدق عليهم بشىء يأكلونه و يلبسونه . لكن النسبة إلى الصفة لا تجىء على الصوفى . بل على الصفى

وثم أقوال ضعيفة أخر كالقول بأن الصوفى نسبة إلى الصف الأول ، لأنهم فى الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة والمناجاة وارتفاع الهمة مع الله تعالى والقرب منه . أو لأنهم كانوا أسرع الناس إلى الصف الأول فى المساجد عند الصلاة . و كالقول بأنهم منسوبون إلى صوفة القفا ، أى مايتدلى فى نقرة القفا من شعر يرسلونه متلبداً مشعثا كالصوف

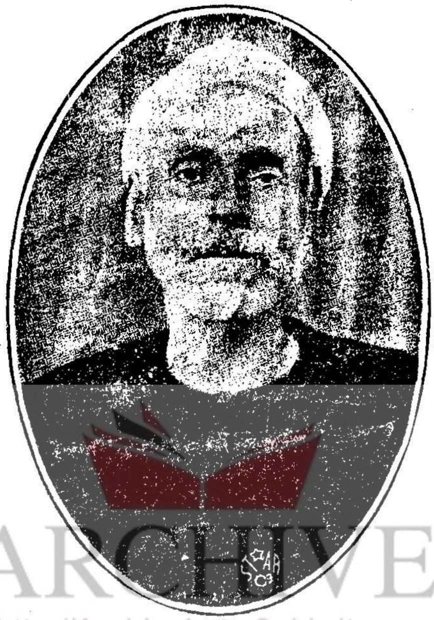
أو منسبون إلى صوفة بن مروان بن أد بن طابخة هكذا جاء فى كتاب « جلاء العينين » والذى فى القاموس وشرحـــه والكسان : وصوفة أبو حى من مضر وهو الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر . كانوا يخدمون الكعبة فى الجاهلية و يجيزون الحاج أى يفيضون بهم ، وكانت العرب إذا حجت وحضرت عرفة لاتدفع منها حتى يدفع منها صوفة . وسمى الغوث بصوفة لأن أمه جعلت فى رأسه صوفة . وجعلته ربيطا للكعبة يخدمها

وأرجح الأقوال وأقربها إلى العقل : مذهب القائلين بأن الصوفى نسبة إلى الصوف ، وأن المتصوف مأخوذ منه أيضا . فيقال تصوف إذا لبس الصوف . كما يقال تقمص إذا لبس القميص . فلهذا القول وجـــه سائغ فى الاشتقاق . وهو مختار كبار العلماء من الصوفية مثل : صاحب « اللمع » وشارح « الرسالة القشيرية » .

ومن غيرهم كابن خلدون ، وابن تيمية . وجمهرة الصوفية يميلون إلى رد اسمهم إلى الصفاء . و إن لم يكن لذلك وجه ظاهر فى قواعد اللغة؟ مصطفى عبدالرازق

مذهب السوفسطائية

للأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى



(صورة الأستاذ الشيخ طنطاوى جوهرى)

« ليس من يجهل بمصر الشيخ طنطاوى جوهرى هو ذلك الكاتب النحرير ، والمحرر الشهير . ذلك الأنسان ذو العقل الكبير . بل أحد رؤساء الحركة السياسية الاجتماعية التى انتشرت فى كافة طبقات الشعب الأسلامي تحت اسم الجامعة الوطنية »

سانتيلانا

هذا ما يقوله الأستاذ سنتيلانا المستشرق الأيطالى الشهير . فى كتابه صدي صوت المصريين فى أوروبا . والذى نشر منذ عشرين سنة تقريبا

وقد تفضل علينا الأستاذ الشيخ طنطاوى بهذا البحث ـ مذهب السوفسطائية ـ الذى ننشره لفضيلته شاكرين ؟

المحرر

أعجبتنى وأيم الله مجلة (المعرفة) وسرنى كثيرا مانشرفيها من موضوعات قيمة تفيد الأمة والوطن والأسلام وكذا العلم بجميع فروعه . مما يدل على المقدرة العلمية لولدنا الفاضل الأستاذ عبد العزيز أفندى الأسلامبولى . و يشهد له بطول الباع فى الكتابة . وحسن الاختيار وغزارة العلم و بعد الهمة مما لا يوجد إلا فى القليلين

فرأيت لكل ماتقدم أن أساهم فى هذا العمل الجليل ، وأساعد بقدر الطاقة ، بالكتابة فى هـذه الصحيفة القيمة ، وهاأنذا أبدأ ببحث فلسفى عن مذهب السوفسطائية ليرى أبناؤنا كيف كان عليه القدماء

قال اليعقوبى فى تاريخه (ص ١٦٦ ج ١) وتفسير هـذا الاسم (السوفسطائية) باليونانية « المغالطة » ، وبالعربية « التناقضية » يقولون لا علم ولا معلوم . . . الخ) وقد تعقبه الأستاذ (سنتيلانه) وخطأه فقال (السوفسطائية باليونانية معلمو الحكمة ، أو طالبو الحكمة)

وصوب كلام الشريف المرتضى فى الأتحاف (مجلد ٩ ص ٤١٨) إذ قال: (السوفسطائية) طائفة من حكماء اليونان ينكرون حقائق الأشياء ، ويزعمون أنه ليس ههنا ماهيات مختلفة ، وحقائق متميزة . فضلا عن اتصافها بالوجود . بل كلها أوهام لا أصل لها ، وسوفسطائية كلمة يونانية معناها طالب الحكمة ، إنتهى كلام الشريف الذى نقله الأستاذ سنتيلانه . ثم قال الأستاذ المذكور :

والحاصل أن السوفسطائية قوم اتخذوا الفلسفة حرفة . كانوا يجتازون المدن والأقطار يدعون القدرة على كل علم ، وعلى تعليمه أيضا فى أقرب وقت مع أنهم أجمعوا أنه لا علم فى الحقيقة ، ولا حكمة ، وأن قصارى ما يدركه الأنسان من الوجود - على فرض وجوده - هو مايدركه بحواسه الخمس ، ولما كان الأدراك الحسى مما يختلف بين الناس من إنسان لآخر . بل وفى الأنسان الواحد باختلاف الأوقات والصحة والمرض ، ومع ذلك يتغير تغيرا مستمرا ، لزم من ذلك أنه لا حق ولا باطل ، ولا خير ولا شر . بل كل ذلك مما تواطأ الناس عليه ليستقيم به

معاشهم ، ويكفى بعضهم شر بعض ، وهو فى نفسه أمر ليس بموجود طباعا — ثم قال : و بعد إجماعهم على هذه الأصول اختلفوا .

(١) فذهب (بروتاغورس) إلى أنه ما ظهر لكل واحد حقاً فهو حق بالنسبة إليه — فقال إن الأنسان مقياس الأمور فى وجودها ، وفى عدم وجودها أى ما رآه كل واحد موجودا فهو عنده موجود ، ومارآه معدوما فهو بالقياس إليه معدوم ، ولا يتعدى الحكم إلى غيره

(٢) وذهبت طائفة أخرى من أتباع (غورغياس) إلى أنه لما كانت الأشياء فى حكم التغيير الدائم كان الأنسان غير متمكن من إدراك الحق بوجه — وغاية مايقدر عليه أن يقتصر على ما يدركه فى كل آن من ظواهر الأشياء ، لا يتعدى حكمه فيها إلى ما يدركه فى آن آخر ، ولا يقول بوجود شىء البتة إذ حقيقة الأشياء على فرض وجودها معا لا طاقة للبشر عليها قال : والمذهب الأول عند العرب يسمى مذهب (العندية) والمذهب الثانى (العنادية) قال : وقد ألحقوا بهما مذهبا آخر ولكنه ليس من السوفسطائية فى شىء ، وهو مذهب (بيرون) كان معاصرا للاسكندر الرومى . ذهب إلى الشك المطلق ، وهو الأمساك عن الجزم بشىء أحق هو أم باطل ؟ قال ويسميه العرب بمذهب (اللاأدرية) قال : وإليهم أشار نصير الدين الطوسى فى حاشيته على المحصل (ص ٢٣) وذكر مايقرب مما تقدم فلا نطيل فيه . فهنا خرج أهل البحث من انحصار أفكارهم فى الماء أو الهواء ، أو أجزاء المادة

وبعبارة أخرى أن هذه الطبقة ، وهم السوفسطائية أشبه بالجنين خرج من بطن أمه . فأذا كان من قبلهم قد حبسوا فى العناصر من ماء وهواء ، ونار وتراب . أو فى أجزاء تلك العناصر خرج هؤلاء من ذلك السجن المادى ، وقالوا نحن لا نتقيد بقيد ما . ثم قال هذه هى فلسفة اليونان فى أواخر دهرها الأول ، وهو منتصف القرن الرابع قبل المسيح ، من التردد والارتباك بين مذاهب الطبيعيين ، ومشاغبات السوفسطائية وأخذ يدحض هذا المذهب ، ومما قال (وقد قيل إن

الشك يهدم نفسه) وذكر حكاية (ديوجانس الكلبى) أنه حضر مجلس بعض السوفسطائية فسمعه ينكر الحركة و يكثر البراهين على عدم وجودها . فلم يجبه (ديوجانس) بحرف ، وأخـذ يتمشى فى المجلس ، ويضرب بعصاه الأرض إشعارا منه بأن مثل هـــذا القول المنكر للظاهر لايحتاج فى نقضه إلى بيان

ثم نقل عن المتكلمين المسلمين فى كتبهم (أن هؤلاء الشاكين لا ينبغى مناظرتهم . بل إحراقهم بالنار حتى يحسوها فيعرفوا ماكانوا ينكرون) فيمكن التكلم معهـم ، قاله الأمام الرازى فى المحصل ، والشـيخ التفتازانى فى شرح العقيدة النسفية . إنتهى كلام الأستاذ سنتيلانه

ثم إنى هنا لا بد لى أن أنقل لقراء « المعرفة » الصحيحة المعارف ، كلام الأستاذ سنتيلانه بنصه وفصه . لأنه فيلسوف أوروبى ، ليكون ذلك زجرا لهؤلاء المتعلمين فى الشرق الذين يرجع بعضهم من أوروبا ، وهم إمادهريون وإما طبيعيون ، و إما سوفسطائية ، وهم يجهلون ماعند أساتذتهم من العلم فيرجعون وهم غافلون قال مانصه بالحرف الواحد:

(أما القول بالطبيعة وألا شىء غيرها فهو لا يرضى العاقل المتبصر) كأنه يقول نعم لا أنازع فى كون الطبيعة والحركة من أصل الموجودات ، وإنما توقفت فى كيفية صدور الفعل منها . فلولم يكن هناك إلامادة تتحرك من الأبد إلى الأبد فمن أين حصل لهذا العالم النظام العجيب ، والترتيب الغريب الذى حارت فيه العقول ، وقصرت عن إدراكه الفحول ؟ كيف ينسب ذلك إلى الاتفاق والمصادفة ، ومجرد البحث — ليت شعرى كيف بقيت على تآلفها ، وكيف تجددت على نمط واحد المرة بعد المرة ، وقد شهدت المعاينة بأن حركات أجزاء لا نهاية لها ولا محرك . لاتفضى إلا إلى غاية الالتباس ، وعدم القياس ، هذا لعمرى كمثل من وضع حروف المعجم فى ظرف أوصندوق ، ثم جعل يحركها يوما بعد يوم طمعا منه أنهـا تتألف من تلقاء نفسها ، فيتركب منها قصـيدة بليغة . أو رسالة عميقة

فى المنطق أو كتاب فى الهندسة دقيق ، أليس هذا من السفه المبين ؟ فأنه لو دام على تحريكها السنين والدهور ما حصل من كده إلا على حروف . فكيف يتصور حدوث هذا الموجود بما هو عليه من الاتقان ، والأحكام ، وتطابق الأجزاء وعجيب مناسبة بعضها إلى بعض ، من حركات اتفاقية فى خلاء لا نهاية له ؟

قال أرسطوطاليس فى كتاب (سمع الكيان) (إن كل نظام يدل على وجود العقل ، وفضلا عن هذا إن ما حصل اتفاقا لا يحصل إلا مرة واحدة ، ولا يتكرر ، ولا يسوغ بناء حكم عقلى عليه ، ولا يقبل القياس بخلاف ما شهدت به التجربة فى عالمنا إلى الثبوت ، ولولا هذا ما أمكن إنشاء علم من العلوم الرياضية والطبيعية ـ هذا وإذا فرضنا وجود مجرد الطبيعة ، ولا شىء سواها . فمن أين هذه القوى العقلية التى يجدها كل واحد من نفسه وهى مع ما فيها من العجز والقصور من أظهر الشواهد على وجود ما يخالف مجرد المادة فى هذا العالم ، ولا سبيل من المادة إلى الأفعال العقلية لما بينهما من المغايرة الأصلية . فوجود مثل هذه القوى يستدعى وجود جوهر عقلى يجانسها ويماثلها ويكون مركزا لها) ثم قال :

« وهل من المحتمل أن ما نشعر به من تصور المعقولات ، والكشف عن الكيان وتفريق القضايا وتركيب القياسات ، لم يكن فى نفس الأمر إلا من اصطكاك المادة بجزء آخر ؟ وهل يسوغ فى العقل أن ما تضمنته عقولنا من الابحاث الدقيقة ، والمآخذ العميقة ، كالمنطق والرياضيات ، والألهيات ، وما فتنت به القلوب من الشعر الرائق ، والمطرب من الألحان ، وسحر البيان أصله من تلك الأجزاء .

هنا لك سلم اليونانيون من هذه الحيرة فلا العناصر كالماء والهواء أصل الوجود ، ولا الجزء الذى لا يتجزأ ، ولا مذهب الشك ، أو العنديه ، أو العناية تغنى فتيلا عن معرفة الحقائق ؟

طنطاوى جوهرى

الصوفية والموسيقي

للسيد محمد الغنيمى التفتازانى

لانريد أن نتوسع فى هذه العجالة فنسرد تاريخ الموسيقى من عهد قدماء اليونان الذين يعتبرهم المؤرخون الطبقة الأولى من وضاع قواعدها ومؤسسى أصولها ، ولانريد كذلك أن نسرد على القارىء الكريم أوجه الخلاف بين المؤرخين فى حقيقة تاريخ الموسيقى ،فقد يطول بنا المقام دون أن نوفى البحث حقه من جميع نواحيه

ولكن الذى نريده أن نمر بمبحثنا على أنظار القراء « قراء المعرفة » الكرام كما يمر شريط السينما ، بأن نبرز لهم صورة من صور ماضى الموسيقى الشرقى

ومعلوم أن الموسيقى حلت ضيفا مرعى الخاطر مكرم الجانب على الصوفية والمتصوفة فى تكاياهم وزواياهم زهاء الخمسة قرون ، فقد حاربها بعض جامدى الفقهاء منذ غلبت الروح الفقهية المحضة على الرأى العام الأسلامى ، إلى أن ظهر بين الفقهاء من يقول بحل سماع الأغانى ، وكانت باكورة هذه الحركة ظهور رسالة العالم الفقيه المحدث الشيخ عبد الغنى النابلسى أحد فقهاء القرن الحادى عشر الهجرى

مرت الموسيقى فى العهد العربى الأسلامى بأدوار ازدهرت فى مدارجها واكتملت نسبيا حتى كانت فنا طريفا شغف به الخلفاء ومن إليهم ، وحيثما ازدهر عهد من عهود المسلمين فى أى قطر من أقطاره ، أحسست بالموسيقى تملك الغرة من جبين ذلك العهد ، ورأيتها فى وضوح سببا من أسباب النهضة وعاملا من عوامل الازدهار ، ثم هى مظهر من مظاهر الترف والنعيم الذى كان يشغل أهل ذلك العصر

وأوفى الصفحات تبين هذه الحقائق ، ماأورده صاحب الأغانى وغيره من أشباهه الذين دونوا آثار السلف لميراث الخالف

وبعد فلا أريد أن أفصل هنا مايجب أن يجمل تعريفا بالفن وأبوابه وألوانه ، ولكننى قلت لك من قبل إن عنايتى بما سأقصه عليك ، لا تعدو الصورة السينمائية لصفحة من صفحات ماضى هذا الفن الجميل

تقول كتب الفن إن الموسيقى اسم لعلم من العلوم الرياضية يبحث فيه عن النغمات والمقامات وكيف تؤدى مهمتها من إثارة الشجن أوابتعاث الحزن أوانبعاث الطرب والسرور ، والصوفية بالطبع أقرب الناس إلى هذا التكييف ، فهم فى مواقف خشوعهم يبحثون عما يثير الشجن كوسيلة لاستغراق مشاعرهم ، ثم هم فى خلواتهم يجهدون أن يصل الحزن العميق إلى قرارة نفوسهم ، ثم هم فى جلواتهم ينشدون مايبعث السرور لجلاء صدأ هذه القلوب المكلومة ، ولا نزاع فى أن الموسيقى تحرك الصم الصلاد ، فهى بلا شك معينة العشاق وجامعة شتات القلوب الرقاق

وقد كتب بعض مشاهير الصوفية فى الموسيقى وفنونها ، بل لقد اتخذت فى بعض أدوارها وعلى الخصوص فى تركيا وإيران شكلا صوفيا محضا ؛ حتى إنك لتجد مشاهير مؤلفى الفن ونوابغه هنا لك من رجال الطريقة المولويه التى لها المقام الأول بين الطرق الصوفية التى تعتمد على الموسيقى فى إدارة حضراتها ومجالس الذكر فيها

وهذه هى الطريقة الصوفية الوحيدة التى تستجيز العزف بالآلات الموسيقية على اختلاف أنواعها أثناء مجلس الذكر

أما بقية الطرق الصوفية فأنها تكتفى بأنشاد المنشدين من ذوى الأصوات المطربة العارفين بأصول التوقيع والأنشاد والملمين بفن النغمات

ومن أظرف ما كتبه صاحب سفينة الملك ونفيسة الفلك المرحوم السيد محمد بن إسماعيل بن عمر شهاب الدين عن مدارج السماع قال رحمه الله :

إن الطفل يصغى سمعه إلى ماتغنيه به أمه ، و يلغى العويل والصياح ، وماذلك إلا لأنه قد ذهب عنه مايغمه بالطرب والارتياح مع كونه غير مميز وليس من أهل ذلك الحيز ، أما الكامل فأذا سمع طرب ، ومتى طرب طاب ومتى طاب غاب ، و إذا غاب حضر ، ومتى حضر نظر ، و إذا نظر حصل ، ومتى حصل وصل

وقال السيد محمد البكرى رحمه الله :

زمزموا باسمى على العود وانقروا للبسط طارة
وعلى منكر قولى فيه شنوا ألف غارة

وقال بعض المتصوفه :

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه غدا بالروح يشريه
وذو الصبابة لا يسقى على عدد ال أنفاس منه فليس الشرب يرويه
يروى و يظمى ولا ينفك شاربه يصحو و يسكر والمحبوب يسقيه
الرى يظمئه والصحو يسكره والوجد يظهره طورا و يخفيه
يبدوله السر من أفاق وجهته وليس إلا له منه تبديه

بهذه الروح الفتانة استهدف المتصوفة حينا إلى حملات الفقهاء وأشياعهم زمانا طويلا ، وكلما زادهم أولئك من خوف النكير ازداد هؤلاء مضيا مع الوجدان والضمير ، فأذا بثروة الموسيقى الشرقية كلها تستودع حصون تكايا المتصوفة وزواياهم ، وإذا بهذه الثروة تخرج من هذه الحصون مصقولة مجلوة بصورتها الحاضرة ، تلك الصورة التى يكفى أن تعرض فيما أخرجه للناس جماعة نادى الموسيقى الشرقى بارك الله فيهم ، إذ لو لا هذه الحركة المباركة حركة تأسيس النادى العظيم ، للبثنا فى مصر أسرى عزف الغواة ومناظر الهواة ، وللبث مجموع ميراثنا الضخم من الموسيقى الشرقية مبددا لم تصل إليه يد الجامع المنسق

أما الآن فأننى أحمد الله سبحانه وتعالى حيث أصبح للموسيقى الشرقية

فى مصر مجمع وناد ومعهد برعاية جلالة مولانا الملك حفظه الله ، توافرت على إدارة هذه المجموعة المباركة قوى فنية فى نفوس كريمة وفقها الله للعمل على حفظ هذه الثروة الضخمة وإحياء موات هـــذا الميراث العظيم ، فبارك الله فى همم جميع القائمين بالعمل فى معهد الموسيقى الشرقى الفخم وجزاهم عن هذا الفن وأهله وعشاقه أحسن الجزاء

ونعود الآن إلى ما يعنى به الصوفية فى مصر من فنون الموسيقى ، فنقول إنهم درجوا منذ القديم على أن يبدأوا مجالس الذكر (لا إله إلا الله) وتعرف عندهم بالأرضية ويأخذ (الرسيم) الذى هو رئيس المجلس فى التدرج بالذاكرين أثناءها من الراست (الرصد) إلى الدوكه إلى السيكاه إلى الجهركاه (الجركاه) إلى الحجاز ثم الرهاوى فالكردى فالبياتى فالصبا ، وهنا تبدو مقدرة الرئيس فى نقل الذاكرين من نغمة إلى نغمة ، كما تبدو مقدرة المنشدين فى متابعتهم للأنغام والأنشاد منها

والغالب فى الأنشاد على الأرضية أن يكون من كلام الصوفية كقولهم

إلهى توسلنا بجاه محمــد نبيك وهو السيد المتواضع
أنلنا مع الأحباب رؤيتك التى إليها قلوب الأولياء تسارع

إلى آخر القصيدة

ثم ينفرد رئيس المنشدين بعد الوصول إلى نغمة الرصد أو إلى النغمة التى ينتهى عندها إنشاد القصيدة بالاستغاثة (أغثنا أدركنا يارسول الله) ثم يقول الموال من نفس النغمة ، فالأبيات التى سينشدها عند قيام المجلس من نفس النغمة أيضا ، ينشدها على الأرضية مقطعة ، وعند قيام الذاكرين يكرر الأبيات بالطريقة المألوفة ، ثم ينفرد بعد ذلك بالمقطعات والقصائد والرقائق وما إليها من كلام الصوفية

وقد يستبيح بعضهم أن ينشد الأدوار الموسيقية بمذاهبها وردودها المعروفة على مجلس الذكر ، ولكن هذه طريقة قاهرية محضة ، ويكاد لا يتبعها إلا رجال

الطريقة الليثية أصحـاب الفضل على هذا الفن وأساتذة مبرزيه وحملة ألويته فى القاهرة منذ مئتى عام

ولا يدهشك أن تعلم أن جميع الذين اشتهروا فى عالم الموسيقى بالقاهرة تخرجوا على مجالس الذكر أولا ثم اتخذوا الغناء بعد ذلك احترافا، وإنما وصلوا إلى قمة الشهرة فى مجالس الذكر الصوفية أولا

ونستطيع أن نذكر من هؤلاء :ـ

المرحوم عبده الحامولى   المرحوم محمد عثمان
المرحوم الشيخ خليل محرم   المرحوم الشيخ المسلوب
المرحوم الشيخ سلامه حجازى   المرحوم الشيخ سيد درويش
المرحوم الشيخ يوسف المنيلاوى

ومن كبار المنشدين الذين لم يحترفوا الغناء على الآلات بصورة دائمة المرحوم الشيخ الشلشمونى والمرحوم الشيخ الحويحى والمرحوم الشيخ عبدالله الأودى

وقد قصرت الذاكرة عن الوصول إلى أسماء الطبقة السابقة لهذه الطبقة.

هذه صورة موجزة مصغرة لما كانت عليه الموسيقى الشرقية عند الصوفية إبان قرن من القرون الماضية

ولقد بلغ من افتنان الصوفية بالموسيقى أن أحدهم نظم أرجوزة ضمنها كل مايتعلق بالموسيقى . أذكر منها مايلى

الحمـــد لله ولى النعم   من خصنا منها بعلم النغم
الرصد أصل الأصل يامن أصلا   فروعه البزرك ثم الزنكلا
أما العراقى خص بالفرعين   منـه الرهاوى مع الحسينى
والزرفـكند مابه تشكيك   فروعه المايا وبوسليك
والأصفهانى رابعا وما حوى   فروعه العشاق حقا والنوى

وكان المشتغلون منهم بالفن يحفظون هذه الأرجوزة عن ظهر قلب كما يحفظون أوراد مشايخهم وأحزابهم

أما أناشيدهم وأما موشحاتهم وقصائدهم فمبعثرة فى بعض الكتب المطبوعة والخطية ، فعسى أن يوفق الله من يضع للموسيقى عند الصوفية سفرا كاملا يحوى مفاخرهم وفنونهم وأقوالهم طوالة عصور ضيافة هذا الفن الجميل عليهم

ومن أظرف ما أحفظه عن مشايخى رواية وتلحينا وأداء موشح رهاوى ضربه مصمودى

ماس وانثنى ثملا يختال تحت البرد
أخجل القنا ميلا بلين ذاك القد
كالغصن مالا يشبه الغزالا قداً واعتدالا

دور

لحظه بنا فعلا فعل الحسام الهندى
فهو إن رنا قتلا بنصل ذاك الحد
قد سطا وصالا برشق النبالا كم دم أسالا

دور

يا كل المنى لم لا ترعى ذمام الود
صرت فى الضنى مثلا وذقت كل الجهد
أنعم قال لالا تطلب المحالا ارقب الهلالا

دور

قلت من جنى أملا من ورد ذاك الخد
عنده الهنا كملا ونال جل القصد
رق لى وقالا من يهوى الجمالا لا يحمل النكالا

دور المديح

صلى ذو الحنا ن على حاوى لواء الحمد
من منه لنا وصلا كل الهدى والرشد
دائما ووالى صحبه وآلا أحرزوا الكمالا

هذه صفحات من صفحات الماضى القريب ، أسأل الله أن تكون مرآة يتعرف فيها من يحاولون النيل من كفاية فنون الموسيقى الشرقية وأصولها وفروعها وأنغامها لأداء كل حاجة تعرض للنهوض بهذا الفن الجميل نهضة تتابع نهضات العصر الحاضر من جميع النواحى

أما الصوفية فهم كما كانوا فى كل آن ومكان قانعون بميراثهم العظيم من هـذا الفن الجميل ، ولكنهم يودون لو أتيح لهم التجـديد فى بعض جوانبـه بمـا لا يهدم أصلا ولا يقطع فرعا ولا يمجه السمع ولا يأباه الذوق ولا تنكره آداب الأسلام ؟

الحنفى بمصر محمد الغنيمى التفتازانى

اسـتفتاء عام

موجه لحضرات القراء والقارئات

(١) ماهى الأسباب الحقيقية لأزمة الزواج ؟ وماهى الطرق التى تعالج بها ؟

(٢) ماهو الزى الذى تفضله ؟ ولماذا ؟ و إذا كنت من القائلين بتوحيده فأى نوع منه تختار ؟ و إذا كنت ترى إدخال تعديل عليه فما هو ذلك التعديل ؟

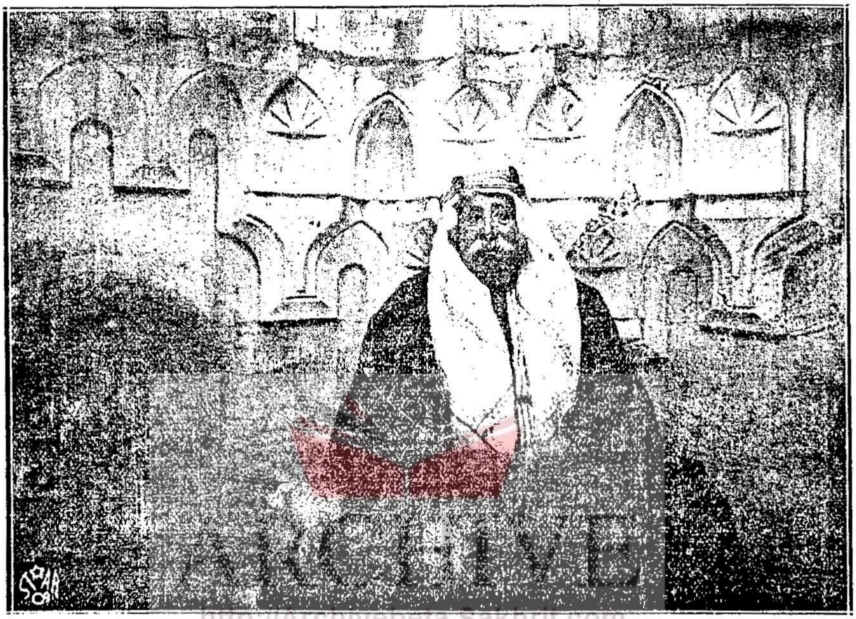
(٣) ماهى ملاحظاتك على هذه المجلة (المعرفة) وماهى الموضوعات التى ترى فائدة من طرقها ؟ وماذا يروقك منها على وجه أخص ؟

توجه مجلة المعرفة إلى حضرات قرائها وقارئاتها هـــذه الأسئلة الثلاثة ، وللجميع الحق فى الرد على بعض أو كل منها ، وستنشر الأدارة ما تراه نافعا من الردود التى ترد عليها ؟

الأداره

الصخرة المقدسة فى المسجد الأقصى

لسعادة شيخ العروبة الأستاذ أحمد زكى باشا



(صورة الباشا بلباس عربى ، جالسا فوق احدى «سقالات» البناء فى قبة الجامع الأثرى الذى يبنيه)

ومن ذا الذى يجهل « شيخ العروبة » وقد ذاع اسمه وشاع ، وملأ البقاع والأصقاع ؟ وهل بعد دفاعه المجيد ، عن جدار المبكى فى القدس الشريف ، يحتاج منا إلى تعريف ؟

ذهبت إلى سعادته مرة من المرات التى أتشرف فيها بزيارته ، للسؤال عن بعض المسائل التاريخية ، أو التحقق من بعض النقط الخلافية ، فجر بنا الحديث إلى ذكر الصخرة الشريفة ، فصال فى الميدان وجال ، كأنما يستدعينى إلى الطعن والنزال . وأنى لطالب علم صغير ، بمنازلة « شيخ العروبة » وعلامة الشرق الكبير ؟

لكن الله أراد بى لطفا ، فما نشعر إلا وحامل البريد يسلم الباشا خطابا ذا مظروف عجيب ، فما أن قرأه حتى ضحك كثيرا ، وعجب للأقدار تساعد صغيرا ، وقال خذ الكتاب واقرأ ، إنما أتيت لأجله سائلا ، قد سبقك إليه صاحب هذا الكتاب أولا ، وإذن : فليكن جوابه على صفحات (المعرفة) فهى به أحق وأجدر .

فأما الخطاب فتاريخه ٢٤/٤/١٩٣١ وتاريخ وصوله ٢٠/٥/١٩٣١ وهو وارد من مدينة «جيمس تون» فى جنوب أفريقيا وهذا نصه: (من غير تعديل فيه)

تحريرا فى ٢٤/٤/٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه أجمعين

إلى محترم المقام العالم العلامة سيدى العزيز سعادة أحمد زكى باشا أطال الله عمره وجعله ملجأ للقاصدين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فأنى أتطفل بسؤال من جاهل مثلى إلى عالم مثلكم عن الصخرة الشريفة المعلقة بالبيت المقدس ما سبب رفعها وتعليقها فهل هى المعنية فى سورة الأعراف فى قوله تعالى «وإذ نتقنا الجبل» «الآية» ... أو جبل آخر وهل كان رفعها قبل آدم عليه السلام وهل كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام يولى وجهه قبلها بعد أن بنى هو وابنه اسماعيل البيت الحرام أو قبله وهل يعقوب ويوسف وجميع الأنبياء الى عيسى على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام كانوا يحجون البيت الحرام أو كانوا يحجون إلى الصخرة أو إلى البيت المقدس أرجو الأجابة على ذلك ولكم الأجر والثواب ولو كان ذلك بنشره فى الأهرام حتى يستفيد جاهل مثلى وتقبلوا فائق احترام خادمكم المخلص؟ أحمد الرهبينى

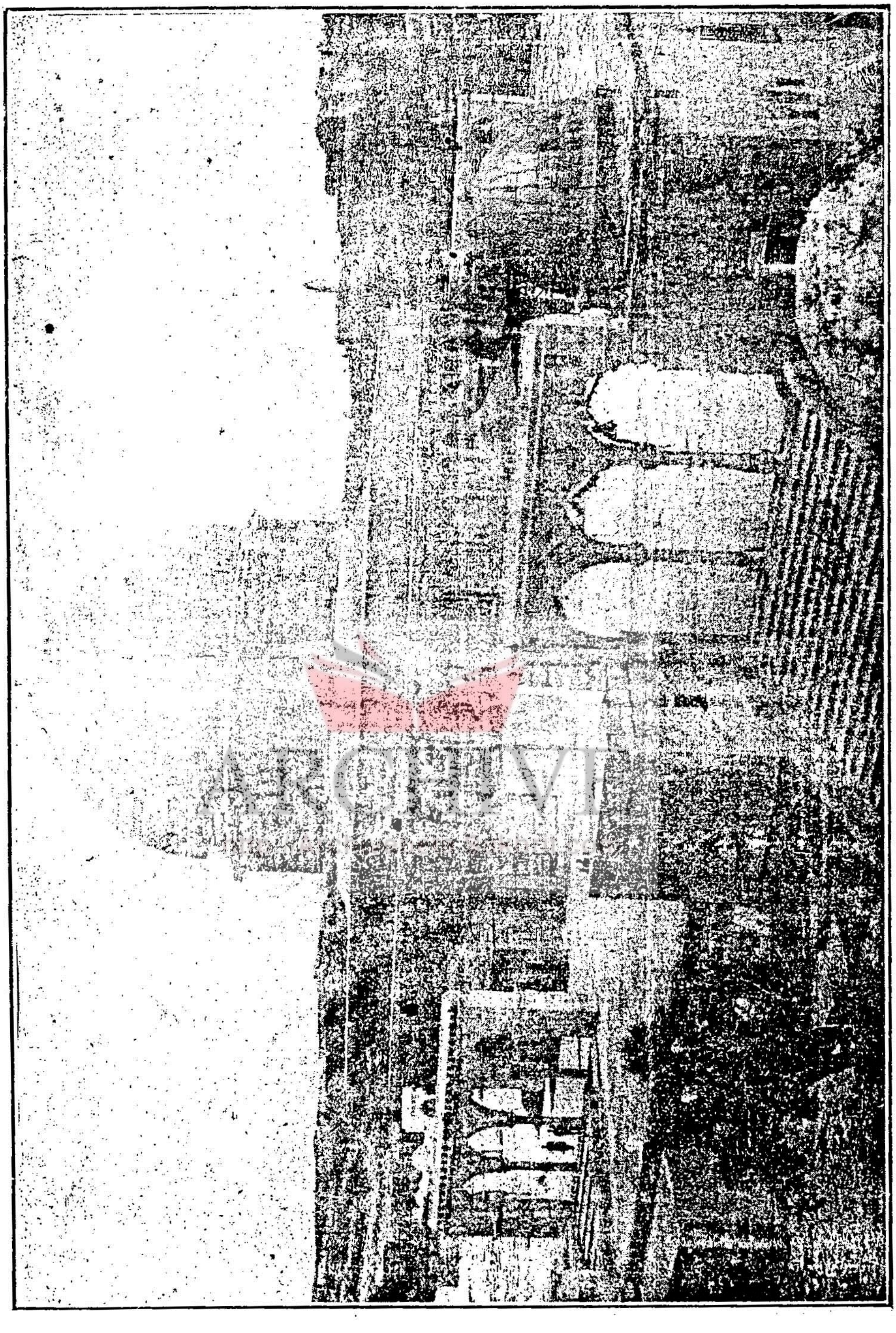
وهذا هو مقال سعادة الباشا وفيه الرد الشافى

(وصف الصخرة)

إن مدينة القدس مبنية، على جبال متشابكة متواصلة، هى المعروفة بجبال القدس. ومنها جبل «موريا» ويقوم الحرم المقدسى على قمته. وكلمة «موريا» عبرانية يقابلها لفظة «مرأى» فى العربيـة لأنها محل الرؤية. أى رؤية الأنبياء لله تعالى

برزت من هذه القمة كتلة صخرية صلدة، امتازت على سائر أبعاض هذا الجبل بالتماسك والصلابة والمتانة، هذا إلى وضعها الذى جعلها فى شكل يلفت الأنظار

وذلك أنها مع اتصالها الوثيق بأرضية الجبل، قد تجردت منه، وبرزت عليه فصارت كالواقف فوقه المنحني عليه



(منظر عام لقبة الصخرة المقدسة)

أما شكلها الطبيعى ، فيكاد يكون شبيها بالدائرة . والقسم المستدير منها ينحنى فى شبه الركوع إلى الناحية التى تشرق منها الشمس ، بخلاف الجزء العمودى فأن قمته مائلة إلى ناحية الغرب . وطولها ٥٦ قدما ، وعرضها ٤٢ قدما بالتقريب

وقد بقيت هـــذه الصخرة إلى الآن على حالتها الطبيعية ، كما أوجدتها الاضطرابات البركانية فى أيام الخليقة والتكوين . فتوالت عليها الدهور والعصور دون أن يلمسها الحجار أو الحفار أو النحات أو النقار ، بيد أو آلة أو أداة من آزميل أو إسفين أو مسمار

والناظر إليها يرى أنها تكاد تنكب على الأرض ، لولا أن الأمام محيى الدين بن العربى (١) ـ على مابلغنى ـ قد تداركها من الانهيار والسقوط ، فأمر بأسنادها على عمودين لطيفين من الرخام ، لا يزالان قائمين إلى اليوم .

(أسباب تعظيمها)

١ — عليها خاطب يعقوب ربه ، ولذلك سماها « باب السماء »

٢ — فوقها رأى النبى داود الملاك يحصد بنى إسرائيل فى أيام الوباء ، فاشتراها لأقامة الهيكل عليها ، وصار يعبد الله فوقها

٣ — عليها كانت محاريب الهيكل الذى شيده سليمان . ثم الذى شيده زرّبابل مع نحميا ، ثم الذى شيده هيرودس الأكبر ، ودعا عليه المسيح بالخراب . فصار قاعا صفصفا

٤ — تحتها قبر سليمان على ما يقال

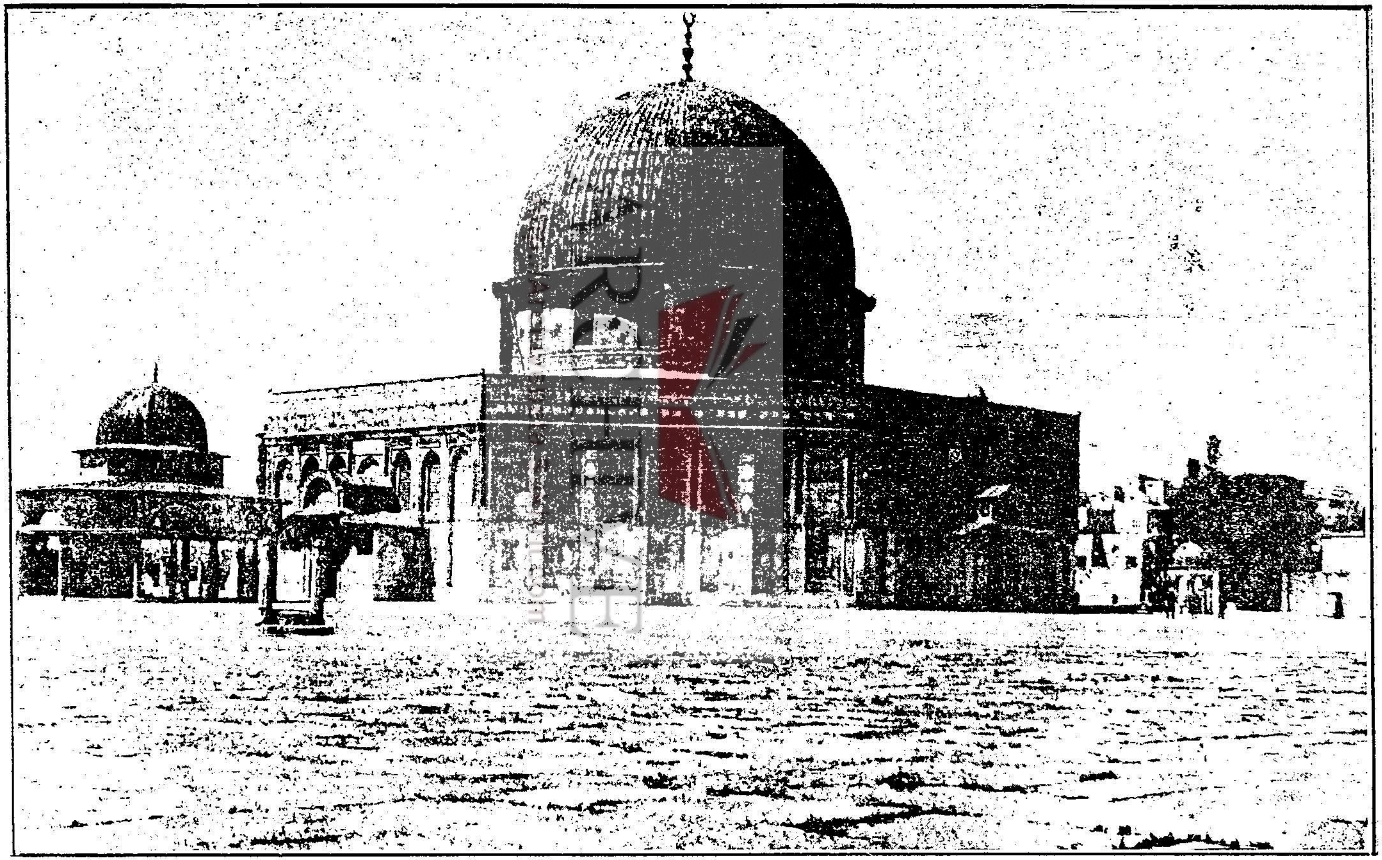
٥ — عليها كان الأنبياء يقيمون الصلاة

٦ — إليها كان بنو إسرائيل يتوجهون فى صلواتهم أينما كانوا

---

(١) سألنى ولدنا المحقق صاحب «المعرفة» عن الدليل فى قولى « العربى » لا « عربى » فأجبته بأن الأمام نفسه قد كتب اسمه بأداة التعريف . كما رأيته بخطه فى إجازته لابنته على جزء من كتاب الفتوحات المكيه . رأيته بحلب فى حيازة الأستاذ العنتابلى .

(منظر عام لقبة الصخرة مع قبّة السلسلة المشهورة)



٧ — فوقها كان المحراب الذى تتعبد فيه السيدة « مريم » الطاهرة البتول العذراء وهناك كان يوافيها النبي زكريا (١)

٨ — عليها أقام الوثنيون من الرومان هيكلا لكبير آلهتهم زفس (وهو جوبتير عند الأفرنج ، وبرجيس عند الفرس ، وكوكب المشترى عند العرب)

٩ — إليها كان إسراء النبي العربى القرشي ، ومنها كان معراجه إلى السماء

١٠ — كانت قبلة للمسلمين يتوجهون إليها فى صلواتهم ، حينما كان هناك لنبيهم أمل فى استدراج اليهود إلى الدين الجديد . وبقى الحال على ذلك حتى شهر رجب من السنة الثانية للهجرة ، فصارت الكعبة قبلة لهم (٢) حيثما كانوا فى الشمال أو الجنوب ، وفى الشرق أو الغرب

خرافات وأكاذيب عن الصخرة

تظاهر جماعة من أحبار اليهود بالدخول فى الأسلام ، ليصيبوه فى مقاتله إذ عجزوا عن هدمه بمناوأته وجهاً لوجه . وقد نالوا بعض بغيتهم بتسميم العقول وبث الأضاليل فى النفوس . وهكذا فتنوا الناس بالخرافات التى ما أنزل الله بها من سلطان

ورأس هؤلاء الذين اندسوا بين المسلمين لأفساد عقائدهم ثلاثة من أخبث الشياطين : ـ كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وعبد الله بن سبأ

لو كان المسلمون يتدبرون ، لقضوا قضاء مبرماً ونهائياً على كل ما دسه لهم هؤلاء الضالون المضلون . وإذن كانت تتطهر قلوبهم من فساد هذه الأدران الوبيلة ، وتسلم أفكارهم من التسمم بهذه الجراثيم الوبيئة .

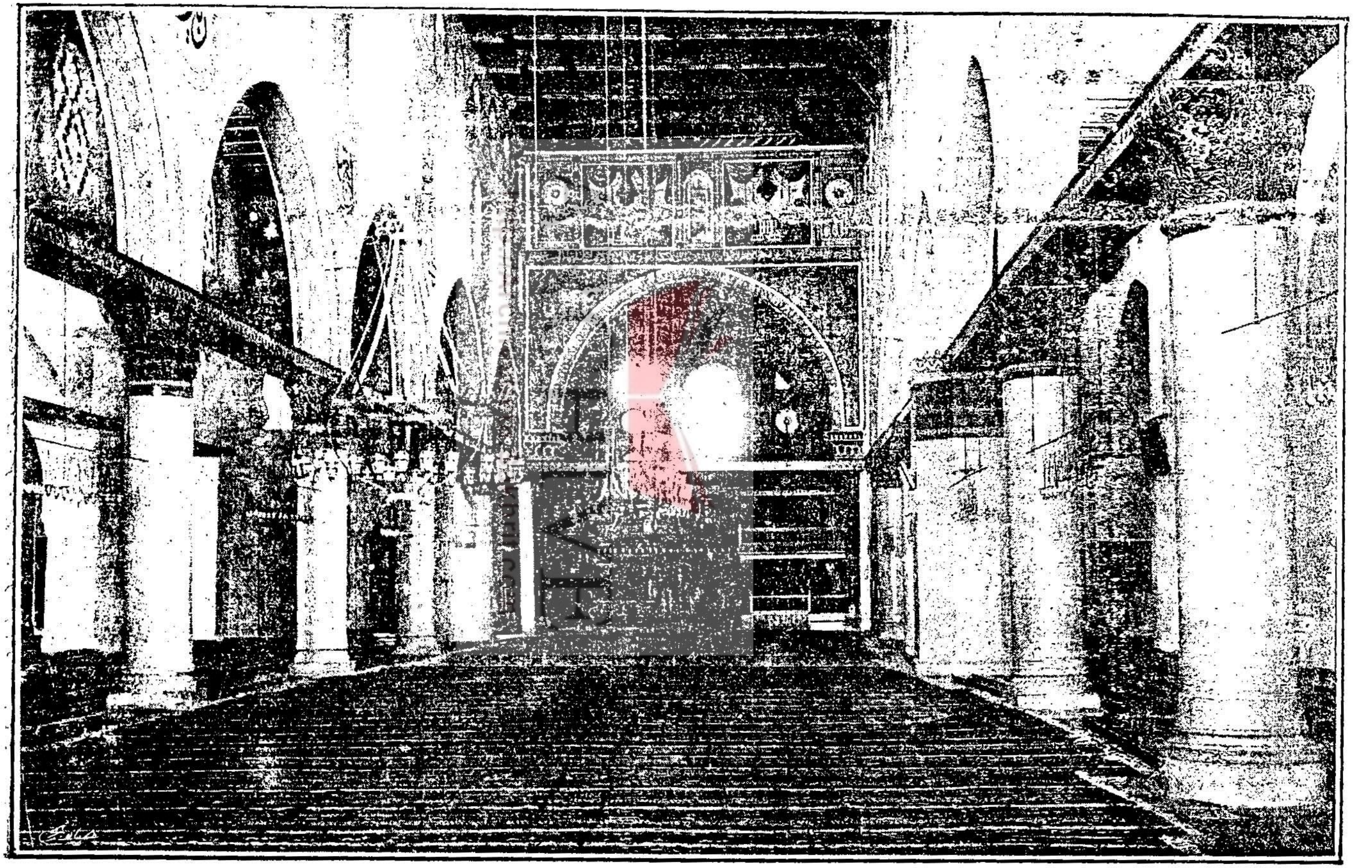
إن ذلك الثالوث اليهودى الذى تظاهر بالأسلام من أجل الكيد

---

(١) القرآن سورة آل عمران (٣ — ٣٦)

(٢) القرآن سورة البقرة (٢ — ١٤٣)

(منظر المسجد الأقصى من داخله)



بالأسلام ، قد نسب إلى هـــذه الصخرة حماقات ، وسخافات ، وترهات ، وخزعبلات ، ممـا لا أصل له فى الدين ، ولا فى تقاليد المسلمين . ولـكن عامة المسلمين ، غرتهم أضاليل أولئـك الـكذابين ، وللأوهام سلطان على العقول عند جميع الشعوب

فقد رأيت كثيرا من كتاب المسلمين يعتقدون و يصرحون بأن هـــذه الصخرة كانت ـ إلى عهد قريب منا ـ معلقة فى الفضاء . فلا هى تتصل بالأرض ولا هى ترتبط بالسماء ، بل جاهر فريق من الناس بالقول وبالـكتابة أنهم مروا بجثمانهم تحتها ، من الشرق إلى الغرب ، ومن الشمال إلى الجنوب ، دون أن يعترضهم حاجز أو أن يصـدهم حائل مع بقاء الصخرة معلقة فوق رؤوسهم ، لا تسقط عليهم ، ولا تميل يمنة ولا يسرة

وأنا قدزرتها مرارا وتكرارا ، فلم أجد فى منظرها الحالى ، أو فى شكلها الماضى مايدعو إلى مجرد الظن بهذه الأكذوبة الخرافية .

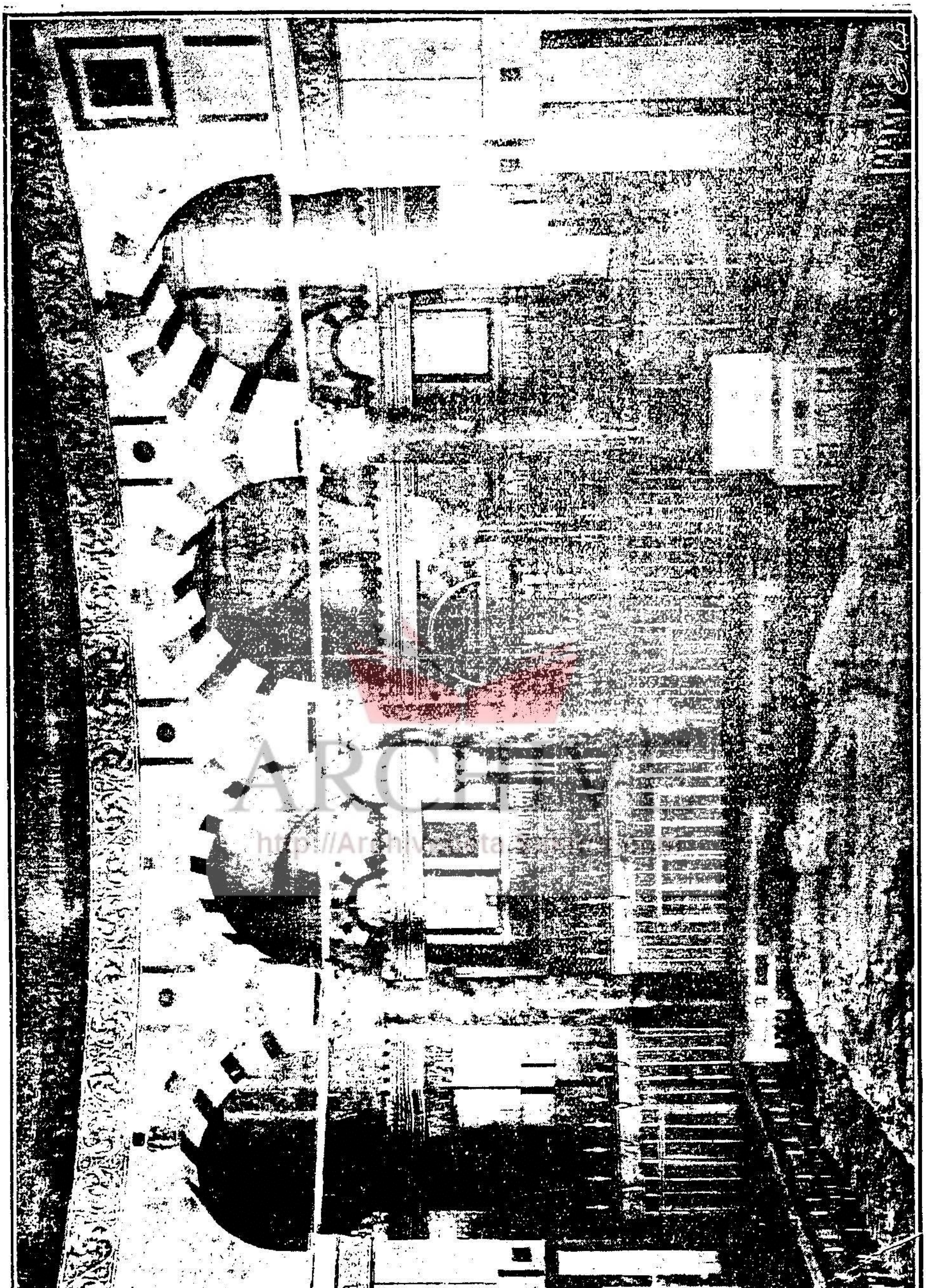
وأحسن وصف رأيته مطابقا للعـقل وللواقع هو الذى كتبه الشريف الأدريسى فى « نزهة المشتاق لاختراق الآفاق » أثناء وجوده فى بلاط الملك رجار المسيحى الذى انتزع جزيرة صقلية من أيدى المسلمين ونصه : — « الصخرة المسماة بالرافقة ، وهى حجر مرتفع كالدكة فى وسط القبة رأسها الواحد مرتفع عن الأرض مقدار نصف قامة أو أشف من ذلك ، و رأسها الثانى لاصق بالأرض ، وطول هذه الصخرة مقارب لعرضها تكوّن بضع عشرة ذراعا فى مثلها ، و ينزل من باطنها وأسفلها إلى سرداب »

و لم ينقل ابن فضل الله العمرى تلك الأكذوبة الخرافية ، بل طهر منها كتابه « مسالك الأمصار »

***

وهل وقفت الخرافات عند حد تعليق الصخرة بين الأرض والسماء ؟

كلا !



(منظر آخر لقبة الصخرة من الداخل)

فأولا على ظهر الصخرة وضعوا أكاذيب أخرى .

ا ــ فهناك ثقب مستدير فى وسطها ، يقولون إن النبي (صلعم) خرقه بجسمه أثناء تحفزه لامتطاء صهوة البراق والعروج عليه إلى السماء . وحاشا أن يصدر ذلك من ألطف إنسان خلقه الله فى أحسن تقويم !

ب ــ وهناك أيضا قطع رخامية مبعثرة ، هنا وهنا . يقولون إنها هى السرج الذى كان على ظهر البراق وما كان لنبي أن يركب على سرج من الرخام إلا إذا كان تمثالا فوق تمثال

ج ــ وهنـاك أيضا « كف جـبريل » مطبوعة على الصخرة ، حينما لطمها بيمينه لتبقى ساكنة مستقرة فلا تتصاعد فى أثر البراق إلى نحو السماء ، والملائكة مخلوقون من أنوار ، وليس للنور مثل هذه الآثار فى الأحجار

ثانيا ــ أمام الصخرة « راية النبي » ، « وراية الفاروق » ، « ودرقة حمزة ابن عبد المطلب سيد فرسان الأسلام » (١)

وقد جرت عادة القوم أنهم يتركون الغبار يتراكم على هذه المخلفات الثلاثة المزعومة إلى نهاية السنة ، وحينئذ يجمعونه ثم يبيعونه إلى من يعتقد فيه الشفاء من كل الأمراض والأسقام . وللمفتى الأكبر الحاج أمين الحسينى مأثرة بالغاء هذه المعرة ، ومافيها من مضرة

ثالثا ــ بجـانب الصخرة خزانة لطيفة فيها قطعة من الجلمود عليها أثر قدم يزعمون أنها قدم نبي الأسلام .

وذلك كذب صراح وبهتان كبير ، طالمـا حاربته فى مصر وقد حاربته أخيرا فى بيت لحم ، وأتيت على أصل هذه الأكذوبة التى هى مثل أخواتها الاسرائيليات ،

---

(١) وليست درقة بل هى مرآة معـدنية ، فقد قال ابن فضل الله العمرى فى « مسالك الأبصار » طبع احمد زكى باشا :

« إنها مرآة من السبعة معادن يسمونها درقة حمزة محمولة على ثلاثة أعمدة لطاف » (ج ١ ص ١٤٢)

وأشرت إلى ما ينسبونه إلى النبي من أقدام أخر (وهم فيها كلها كاذبون) مثل القدم التي فى مسجد البدوى بطنطا ، والتى فى مسجد قايتباى بظاهر القاهرة ومثل تلك القدم التي استهوت فؤاد السائح الهروى حتى اشتراها بعشرين دينارا ، ومثل القدم المنسوبة لأبراهيم جد الأنبياء ، وأختها المنسوبة للمسيح بن مريم . كل ذلك من بقايا عبادة الأحجار ومن صناعة الفراعنة المصريين ، والوثنيين الأقدمين للأسباب التى بسطتها ، وللمرامى التى شرحتها فى موضعها — وهى معلومة لدى أهل الدراية والعرفان .

ومن أعجب العجائب أن هذا الحجر نفسه ، و بعينه قد جعله الصليبيون أثرا لقدم المسيح حينما استولوا على القدس ، ولم يكتفوا بالأثر المماثل له فى الشكل ، وفى الكذب ، الموجود بكنيسة القيامة .

خرافات لا أرضاها لهم كما أنى لا أرضاها للمسلمين

وأما اليهود فلم يأتى عنهم نبأ بأنهم يقولون بها فيما يختص بهم وبأنبيائهم — إلا فيما يتعلق بالنبى أنوخ ، أو اخنوخ ، وهو المعروف عند المسلمين بأدريس

رابعا — هنالك انخفاض فى ترصيف البلاط فى الجانب الشرقى من أرضية الصخرة . يزعمون أنه أثر قدم النبي إدريس حين مروره بذاك المكان . وهذه أيضا من عجر الأسرائيليات إن لم تكن من بجر الأسرائيليين وهو مالا أرضاه للربانيين من بنى إسرائيل

مغارة الصخرة

تحت الصخرة المقدسة مغارة مجوفة بفعل الأحداث الطبيعية . ينزل الأنسان إليها من الزاوية الجنوبية الشرقية على احدى عشرة درجة منقورة فى الصخر . وارتفاع سقف هذه المغارة لايزيد على عشر أقدام بالتعديل المتوسط

هنالك مقام منسوب للخليل ابراهيم على اليسار ، ومحراب منسوب لسليمان على اليمين . وأما المحراب المزعوم لأبيه داود ففى الجنوب ، يقابله فى الزاوية الشمالية

المقام المقال بلاحق إنه للخضر عليه السلام (١)

هل شنت الخرافات الغارة على هذه المغارة ؟ ـ نعم !

ففي سقفها تجويف صغير يزعمون أنه حدث من اصطدام رأس نبي الأسلام به وفيها قطعة من الجلمود بارزة الى الأمام يسمونها « لسان الصخرة » يزعمون أنها مدته لتحية عمر بن الخطاب حينما نظف الصخرة وطهرها ثم نزل إلى المغارة لأقامة الصلاة فيها . وهم فى ذلك كاذبون ، إلى غير ذلك من سخافات لم استقص لها خبرا . ولم أحط بها خبرا

ونأتى الآن على بيان السبب الذى حدا بالمخرفين إلى القول بأن الصخرة كانت معلقة بين الأرض والسماء .

فأنت إذا وقفت فى هـذه المغارة ، ثم ضربت الأرض بقدمك ، سمعت رنينا يتردد صداه فى جوف الأرض . وليس فى ذلك شيء من خوارق العادات أو مايخالف نواميس الطبيعة : فهذه الأرض المفروشة بالرخام ، إنما هى سقف لمغارة تحتانية أو صهريج أو بئر . وربما كانت هذه البئر هى التى كانت تتسرب إليها دماء القرابين . وزعمت الأسرائيليات بأن أرواح الموتى تجتمع فيها « على شكل مؤتمر ينعقد » مرتين فى كل أسبوع . تلك هى « بئر الأرواح »

ولـكن الذى لاريب فيه عند العلماء المحققين ، وعند العاجز الضعيف كاتب هذه الحروف ، هو أن وجود هذه الفجوة الطبيعية ، أو المبنية تحت أرض الصخرة ، هو الذى دعا إلى قول الأسرائيليات بتلك الأكذوبة الخرافية ، وهى أن الصخرة معلقة فى الفضاء بين الأرض والسماء . ولعنة الله على الكاذبين ؟

عن دار العروبة بجيزة الفسطاط ــ أحمد زكى باشا

---

(١) هذا القول منقول عن علماء الأفرنج وأما الذى رواه ابن فضل الله العمرى فهو : ــ وبباطن المغارة المذكورة محرابان على اليمين واليسار . كل محراب على عمودى رخام لطاف . وأمام المحراب الأيمن صفة تسمى مقام الخضر يواجهها عمود رخام قائم للسقف وعمود راقد . مرد لها . وبالركن الشمالى من المغارة ، صفة نقر ، يسمونها مقام الخليل (أنظر مسالك الابصار ج ١ ص ١٤٣)

أثر الثقافة الأسلامية
فى الغـــرب
للأستاذ الـكبير عبد الواحد يحي

إن كثيرا من الغربيين لم يدركوا قيمة ما اقتبسوه من الثقافة الأسلامية أو يفقهوا حقيقة ما أخذوه عن الحضارة العربية فى القرون الماضية . بل ربما لم يدركوا منهما شيئا مطلقا . وذلك لأن الحقائق التى تلقى إليهم حقائق مشوهة حظها من الصحة قليل . فأنها تبالغ كل المبالغة فى الحط من شأن الثقافة الأسلامية والتقليل من قدر المدنية العربية ، كلما أتاحت الظروف لأصحابها ذلك .

و يلاحظ أن دراسة التاريخ فى المعاهد الغربية لا توضح هـذا التأثير بل إن الحقائق تناولتها يد التحوير والتحريف قصدا فى كثير من الحوادث العظيمة الشأن الجليلة الخطر .

مثال ذلك ماهوشائع معروف من أن أسبانيا ظلت تحت الحكم الأسلامى عدة قرون ، بينما لا يذكر التاريخ الغربى قط ، أن صقلية والجزء الجنوبى الحالى لفرنسا كانا تحت الحكم الأسلامى أيضا ، وربما عزا البعض هذا الأهمال من المؤرخين إلى تعصبهم الدينى ، ولكن ما هى حجة المؤرخين المعاصرين ـ وغالبهم لا دينى ـ فى موافقتهم أسلافهم فى قلب الحقائق ؟

لهذا ينبغى أن ندرك مقدار زهو الغربيين وكبريائهم ، مما منعهم عن إدراك الحقائق الصحيحة ، ومقدار ماهم مدينون به للشرق . والأغرب من ذلك كله أنه بينما يعتبر الأوربيون أنفسهم الورثة المباشرين للمدنية اليونانية القديمة فأن الحق يدحض زعمهم هـذا . إذ أن الواقع المعروف من التاريخ نفسه ، يثبت لنا أن علوم اليونان وفلسفتهم لم تنتقل إلى الأوربيين إلا بواسطة المسلمين

وبعبارة أخرى لم تصل المخلفات العقلية لليونانيين إلى الغرب ، إلا بعد أن درسها الشرق ، ولولا علماء الأسلام وفلاسفتهم لظل الغربيون جاهلين بتلك العلوم زمنا طويلا . بل ربما لم يدركوها كلية

وينبغي أن نلاحظ أننا نبحث هنا عن مقدار تأثير الحضارة الأسلامية لا العربية فحسب ، كما يختلط على البعض أحيانا ، وذلك لأن معظم من حاولوا نقل هـذه الثقافة الأسلاميـة لم يكونوا من العرب الخلص ، وإذا كانت لغتهم عربية فأن ذلك ناتج عن تأثرهم بدينهم الأسلامى . وما دمنا قد ذكرنا اللغة العربية فأننا نلاحظ دليلا واضحا يثبت لنا انتقال المؤثرات الأسلامية فى الغرب وهو تلك الكلمات العربيـة الأصل والمنبت التى تستعمل تقريبا فى كل اللغات الأوربية ، بل وما زالت تستعمل حتى وقتنا هذا ، على أن معظم الغربيين الذين يستعملونها يجهلون حقيقة مصدرها كل الجهل . وبما أن الكلمات هى التى تستعمل لنقل الأفكار ، وإظهار ما تكنه النفوس ، فأن من السهل علينا جدا أن نستنتج انتقال تلك الأفكار والآراء الأسلامية نفسها .

وفى الحق أن تأثير الحضارة الأسلامية قد تناول لدرجة بعيدة وبشكل محسوس ، كل العلوم ، والفنون ، والفلسفة ، وغير ذلك ، وقد كانت بلاد الأسبان مركز الوسط الهام الذى انتشرت منه تلك الحضارة .

وليس غرضنا الآن أن نفحص كل هذه الأنواع بالتفصيل ، ونرى مقدار ما خلفته الثقافة الأسلاميـة فيها ، ولكننا نركز بحثنا فى بعض نقط نعتقد أنها من الأهمية بمكان . وإن قل من يدركها فى وقتنا هذا .

أما عن العلوم فمن السهل أن نفرق بين العلوم الطبيعية ، والعلوم الرياضية فأما عن الأولى فأنا نعلم علم اليقين أنها انتقلت بكلياتها وجزئياتها إلى أوربا عن طريق الحضارة الأســلامية مصبوغة بالصبغة الأسلامية تماما : فالكيمياء احتفظت دائما باسمها العربى الذى يرجع أصله إلى مصر القديمة والذى كان له معنى من أعمق المعانى التى لم يعرفها الكيمائيون الحديثون حقيقة . ولنضرب

مثلا آخر ، ذلك علم الفلك فأن أكثر اصطلاحاته الخاصة ما تزال محتفظة فى كل اللغات الأوربية بأصلها العربى كما أن كثيرا من النجوم مايزال علماء الفلك فى كل الأمم يطلقون عليها أسماءها العربية . وهذا يرجع إلى أن مؤلفات الفلكيين اليونانيين القدماء ، مثل بطليموس الأسكندرية ، كانت ، معروفة فى التراجم العربية ومجتمعة مع المؤلفات الأسلامية . ومن السهل جدا أن نوضح أن كثيرا من المعارف الجغرافية الخاصة بالمناطق السحيقة فى آسيا وأفريقيا عرفت من الرحالة العرب الذين جابوا كثيرا من الأقطار وحملوا معهم معلومات جمة

أما من ناحية الاختراعات — وهى تابعة للعلوم الطبيعية — فقد انتقلت أيضا بنفس الطريق أى بواسطة المسلمين ، وما تزال قصة الساعة المائية التى أهداها الخليفة هارون الرشيد إلى الأمبراطور شارلمان عالقة بالأذهان ثابتة الوقائع .

أما الرياضيات فيجب أن نعيرها التفاتا خاصا ، وذلك لأهميتها فى هذا البحث . فأن ميدانها الواسع لا نرى فيه علوم اليونان فحسب ، بل نرى فيه أكبر الأثر للثقافة الأسلامية ، مضافا إليها علوم الهند أيضا . أما اليونانيون فقد بلغوا درجة الكمال فى الهندسة ، وعلم الأرقام ، ويلاحظ أن الأخير يرتبط دائما مع الأول فى الأشكال الهندسية المناسبة ، وهذا التفوق الذى كان للهندسة يظهر لنا جليا فى الجملة التى قالها أفلاطون والتى ذكرت فى بحثنا السابق فى الجزء الأول من هذه المجلة ولكن يوجد علم آخر من الرياضيات يتبع علم الأرقام ولكنه لم يكن معروفا - كالعلوم الأخرى - فى اللغات الأوربية بالاسم اليونانى لأنه لم يكن معروفا بين اليونانيين القدماء . هذا هو علم الجبر الذى كان مصدره الأول الهند والذى يسهل علينا من اسمه العربى أن نعرف طريق انتقاله إلى الغرب

حقيقة أخرى حان حين ذكرها ولو أنها قليلة الأهمية ، ولكنها تدل أيضا على ماقدمنا : وهى أنه من الشائع فى كل مكان أن الأرقام التى يستعملها الأوربيون هى نفس الأرقام التى استعملها العرب ولو أن مصدرها الأول هو الهند ، لأن علامات العد التى كان العرب يستعملونها قديما ما هى إلا حروف الهجاء نفسها .

وإذا انتقلنا من بحث العلوم إلى بحث الفنون فأننا نلاحظ أن كثيرا من المعانى التى جادت بها قرائح الكتاب والشعراء المسلمين فى الأدب والشعر ، قد أخذت واستعملت فى الأدب الغربى ، بل أكثر من هذا فأن بعض كتاب الغرب وشعرائه قد قلدوا تمام التقليد بعض كتاب المسلمين وشعرائهم . وكذلك نلاحظ أن أثر الثقافة الأسلامية واضح كل الوضوح وبصفة خاصة فى فن البناء ، وذلك فى العصور الوسطى : فمن ذلك شكل القوس المعقود الذى صار متميزا بنفسه حتى صار يدل على طريقة خاصة للبناء كان يستعمل فيها وقد كان مصدره فن البناء الأسلامى ولو أن كثيرا من النظريات الخيالية اخترعت لمخالفة هذه الحقيقة ، ومما هدم هـذه النظريات وجود رواية يتناقلها دائما البناءون أنفسهم وهى تثبت انتقال هذه الطريقة من الشرق . وقد كان لهـــذه الحقيقة صفة سرية جعلت لغتهم معنى رمزيا ، فكانت ترتبط ارتباطا وثيقا بعلم الأرقام ، وقد نسب هذا العلم فى مصدره الأول لهؤلاء الذين بنوا هيكل سيدنا سليمان . ومهما يكن من أمر هذا المصدر البعيد فلا يمكن بحال ما — أن يكون انتقاله إلى أوربا إلا بواسطة العالم الأسلامى ، ومما يحسن ذكره أن هؤلاء المعماريين — وقد كانوا هيئات متحدة لها شعائر خاصة — كانوا يعتبرون أنفسهم كأنهم أجانب فى الغرب حتى فى مساقط رءوسهم . وقدظلت هذه التسمية حتى الآن . على أن هذه الأمور صارت غير معروفة إلا للقليلين جدا .

فى هـــذه النظرة العجلى ، ينبغى أن نذكر بصفة خاصة نوعا آخر هو الفلسفة فقد بلغ التأثير الأسلامى فى القرون الوسطى مبلغا عظيما لم يستطع أشد خصوم الشرق تعصبا أن ينكر قوته . وهذا صحيح فأن أوربا لم يكن فيها من وسيلة أخرى لمعرفة الفلسفة اليونانية فى ذلك الزمن ، وذلك لأن التراجم اللاتينية لأفلاطون وأرسطو — وهى التى استعملت حينئذ — لم تنقل أو تترجم من الأصل اليونانى مباشرة بل أخذت من الترجمة العربية السالفة وأضافوا إليها ما كتبه المعاصرون المسلمون فى الفلسفة الأسلامية . ومن أولئك المعاصرين : ابن رشد وابن سينا وغيرهما

والفلسفة التى كانت معروفة فى ذلك الوقت باسم «الفلسفة المدرسية» كانت تتميز بها الفلسفة الأسلامية واليهودية والمسيحية، ولكن من الأسلامية استمد النوعان الآخران مصدرهما. بل إن اليهودية وهى التى ازدهرت فى أسبانيا كانت لغتها عربية وذلك ثابت ويرى فى المؤلفات الهامة لموسى بن ميمون وعنه نقل فيلسوف يهودى آخر — بعد قرون عديدة — كثيرا من فلسفته الخاصة ذلك هو (سپينوزا)

وليس من الضرورى أن نصر على بحث أشياء معلومة لكل من درس شيئا من تاريخ الفكر. بل يحسن أن نبحث أخيرا فى أشياء أخرى من نوع مختلف لا يعرفه معظم الحديثين، خصوصا فى الغرب. بل لا يكاد يكون لأحد ما أية فكرة ذات أهمية عنه، ولكن من وجهة نظرنا نرى له أهمية كبرى أكثر من كل المعارف الخارجية التى تحتويها العلوم والفلسفة. وما نقصده بهذا هو التصوف وما يتصل به أو يعتمد عليه من أنواع المعرفة الأخرى الثانوية التى تختلف عن تلك العلوم التى يدرسها الحديثون كل الاختلاف

وليس للغرب فى وقتنا هذا شىء من أمثال تلك العلوم على حقيقتها، بل أكثر من هذا أن الغرب لا يعرف أيضا من المعارف الحقة كالتصوف أوما يماثله شيئا مطلقا. على أن هذه الحال لم تكن هى الحال فى القرون الوسطى. وهذه المعارف لها أيضا أثرها الأسلامى البين الواضح بأجلى وضوح فى تلك العصور. ومن السهل جدا ملاحظة أثر ذلك فى بعض المؤلفات التى تختلف معانيها الحقيقية عن الثمرات الأدبية كل الاختلاف

وقد بدأ هذا النوع يتضح لبعض الأوربيين أنفسهم وذلك خلال دراساتهم لأشعار «دانتى» الأيطالى، ولكنهم لم يدركوا ماهية طبيعتها الحقة. ومنذ سنين عدة كتب المستشرق الأسبانى «دون ميجيل آسين پلاثيوس» كتابا عن المؤثرات الأسلامية فى مؤلفات «دانتى» جاء فيه أن جزءا كبيرا من الرموز والأشارات التى استعملها «دانتى» كان يستعملها قبله بعض المحققين والكتاب

المسلمين وبخاصة سيدى محيي الدين بن عربى . ولكن لسوء الحظ نرى أن ملاحظاته لم تتعد التخيلات الشعرية ، على أن هناك كاتبا آخر أيطالى الجنس هو « لويجى فاللى » الذى توفى حديثا تعمق بعض التعمق فى البحث فذكر أن دانت لم يكن وحده التى استعمل الأشارات المماثلة لما كان مستعملا فى الشعر الصوفى الفارسى والعربى . بل إن كثيرا من الشعراء المعاصرين لدانتى فى مملكته كانوا أعضاء فى اتحاد أو هيئة سرية تسمى « أمناء الحب » وكان دانتى نفسه أحد رؤساء تلك الهيئة

ولما حاول « لويجى فاللى » أن يحل ألغاز لغتهم السرية لم يتمكن من إدراك ما كانت تتميز به تلك الهيئة أوما يماثلها من الهيئات التى وجدت فى أوربا أيام القرون الوسطى . على أن الحق هو أن بعض الشخصيات السرية كانت تستتر خلف تلك الهيئات لتكون مصدر إرشاد لها وقد كانت تلك الشخصيات السرية تعرف بأسماء مختلفة من أهمها تلك التسمية « إخوان الوردة والصليب » وليس لهؤلاء قواعد مكتوبة يسيرون عليها ، كذلك لم يكن لهم اجتماعات معينة وكل ما كانوا يعرفون به هو أنهم وصلوا إلى حالات روحية خاصة ويمكننا أن نصفهم بأنهم صوفيون غربيون ، أوعلى الأقل متصوفة فى درجات عالية وقد قيل إن هؤلاء « الأخوان » الذين كانوا يتسترون بألبسة البنائين ورموزهم . كانوا يعلمون الكيمياء وعلوما أخرى تماثل ماكان مزدهرا من العلوم فى العالم الأسلامى

وفى الحق أنهم كانوا حلقة اتصال بين الشرق والغرب وكانوا على اتصال مباشر بالصوفيين المسلمين وقد كان ذلك الاتصال يستتر وراء رحلات مؤسسهم الخيالى . وليس هذا معروفا فى التاريخ الذى لا يتعمق كثيرا فى البحث ، بل يكتفى فقط بمظهر الحوادث الخارجى مع أن هناك المفتاح الحقيقى الذى يفتح لنا مغاليق كثير من الأشياء ولولاه لا ستمرت دائما غير واضحة بالمرة وسنتكلم إن شاء الله عن هذه الأشياء وعن حقيقة معناها فى أبحاث أخرى ؟

عبد الواحد يحيى

أمـــل

تعريب الأستاذ عثمان امين

« فردريك شلر » شاعر وكاتب ألمانى كبير، عاش فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر. ترك آثارا أدبية مشهورة، ونظم الكثير من المآسى (تراجيديا) وترجم معظمها إلى اللغات الأوربية، ولكن اللغة العربية لم تعرف من آثار هذا الشاعر المؤرخ سوى « اللصوص » وهى مأساة ذائعة ترجمها إلى العربية صديقنا عبده أفندى الزيات. ومن أشهر مؤلفات شلر عدا هذه: « فالنشتين » و « مارى ستيوارت » و « دن كارلوس » و « وليم تل » وكلها مآس معروفة ولم يزل حظها من الأقبال عظيما. وله كذلك كتاب « حرب الثلاثين » وهو من المصنفات التاريخية المشهورة.

كان « شلر » صديق « جوت ». وكان كذلك زعيما من زعماء المدرسة « الرومانتية » وهم طائفة المجددين فى الأدب، النازعين إلى التحلل من قيود الكتابة وأوضاعها على ماسنه القدماء. كان « شلر » يترسم المثل الأعلى، وما برح يدعو إليه فى معظم ما كتب، ولعله كان يغلو فى ذلك بعض الأحيان. أما شعره فقد حفل بمبادىء خلقية تقوم على فلسفة « كانت » شيخ فلاسفة الألمان على الأطلاق. مات « شلر » بعد أن بلغ فى بلاده أوج الشهرة، بما كان لشعره من الأثر العميق فى الشبيبة الألمانية. ولعلى أحسنت الاختيار حين أقدم اليوم إلى الشبيبة المصرية قصيدة من درر شعره. فشبابنا أحوج ما يكون إلى مثل هذا الأدب الذى يزكى فى نفوسهم روح الأمل، ويحثهم على الطموح إلى « المثل الأعلى » وهو عندنا الشىء الوحيد الذى يجعل للحياة قيمة.

وإنى لموقن أن هذه القصيدة — وقد عالجت نقلها مباشرة عن اللغة الألمانية — قد فقدت كثيرا من طلاوتها التى يحسها من يقرأها بلغتها الأصلية. وأرجو أخيرا أن يتاح لغيرى ممن كان لهم فى صناعة القريض باع، أن يصوغها شعرا عربيا.

قال شلر فى قصيدته التى سماها « أمل » : —

« يتحدث الناس كثيرا و يحلمون »
بأيام مقبلة أزهى مما هم فيـه وأنضر
وإلى غاية سعيدة ذهبية
تراهم يجرون و يستبقون .
يصبح العالم كهلا ثم يعود بعد ذلك صبيا
ولـكن الأنسان ما فتىء يطمح إلى المعالى رقيا :

***

إنه الأمل يرافقه مدى الحياة .
يغمر الصبى المرح الطروب
ونوره السحرى يستثير الشباب ،
وليس يخبو أواره لدى الشيخ خالطه المشيب
لأن الشيخ إذا كان يطرح فى القبر عبء السنين
إلا إنه عند القبر يغرس الأمل

***

ليس الذى أقول لغوا ولا وهما باطلا
يجول فى رأس أحمق مأفون
بل إن فى القلب هاجسا يهيب بنا :
إنا خلقنا لما هو أرفع وأسمى
وما يناجى به الصوت الباطن فينا
محال أن تضل به نفوس الآملين »

عثمان أمين

لغة اليمنيين فى الجاهلية

(من كتاب تحت الطبع سيقدم إلى مؤتمر المستشرقين بانجلترا)

للأستاذ محمد الصاوى عمار

يطالعنا كتاب الأغانى وغيره من أمهات كتب الآداب العربية كما يطالعنا أبوعمرو بن العلاء والأصمعى وابن سلام والسجستانى وابن هشام وابن دريد وابن لهيعة وغيرهم من ثقات المؤرخين وعمد هيكل التاريخ العربى القديم - بالجمهرة الوافية من تاريخ اليمن فى الجاهلية والأسلام وأوضاع لغتها وسبل مخاطبتها وهى لا تكاد تختلف كثيرا عن اللغة المضرية إلا فى قليل من التراكيب ومعانى المفردات وأوجه الأعراب - كقولهم - « هقنيو » فى أقنوا بمعنى « أعطوا » و « جحمة » فى « عين » و « قلوب » فى « ذئب » و « شناتر » فى « أصابع » فتراهم يقولون « خذ المسبر بشناترك » أى خذ القلم بأصابعك. وقال شاعر منهم يرثى امرأة أكلها ذئب بقصيدة جاء فى مطلعها

أيا جحمتا بكّى على أم واهب أكيل قلوب ببعض المذانب

وهكذا إلى آخر ما يعرفه كل من قرأ آداب العرب وألم بأصول اللغات وفقهها أو نظر المعاجم وما تحويه من لسان القبائل العربية المختلفة

لكن « جوزيف هاليفى وموردتمان وملولر وجلازر » من علماء الآثار « بأوربا » عثروا فيما عثروا عليه فى أطلال اليمن وخرائب عمائره على ألواح نقش عليها بالخط المسند عبارات لو تأملناها لوجدناها تختلف كثيرا عن اللغة اليمنية المروية لنا عن الرواة الثقات — فما عثر عليه لوحان نقش على أولهما ما يأتى :—

« وهبم وأخوه من كلبت هقنيو المقه ذاهران مذندن بمجن بمسألهو وسعدهمو هنعمم منه »

أى « وهب وأخوه من بنى كلبة أعطوا « المقة ذاهران » هـذا اللوح من أجل أنه أجابهم بما سألوا وساعدهم إنعاما منه »

ونقش على الثانى ما يأتى « شفزم وأخت امهو بعلتى خمتن خلف هجرن شمتى وثنا للمقه بعل أوم مجن أنه وقههوم بمسألهو »

أى : شفزم وأخت أمه صاحبا الخيمة خلف هجر ، وضعا وثنا للمقه صاحب أوم من أجل أنه أجاب سؤلهما

فصفق لذلك بعض مستشرقى الفرنجة و بنوا « من الحبة قبة » وظنوا أنهم مانعتهم تلك الأحجار من الضلال ، والتيه فى أودية الخيال . وراحوا يزعمون أن هذه اللغة هى التى كانت مستفيضة بين اليمن وشائعـــة بين مخاليفه . وشايعهم فى ذلك بعض أدبائنا المصريين ظنا منهم بأنهم بارعون فى العـلوم المـادية إذ وصلوا إلى نظريات معقولة فى الهندسة وأصول الرياضة وقواعد صحيحة فى الميكانيكا والـكهرباء والبخار والـكيمياء فهم كذلك بارعون فى العلوم اللسانية وغفلة منهم عن أنهم مهما تـكن براعتهم فى الاختراع وقدرتهم فى الابتداع فهم باعتراف أساطينهم ـ ليسوا بأقدر على تفهم اللسان العربى من العرب أنفسهم كما أنه لا يعقل أنهم يفهمون جيمية « الشماخ » ولامية « الشنفرى » وميمية « زهـير » ودالية « طرفة » أكثر من « سيبويه والـكسائى والأخفش والمبرد وثعلب »

ولن يستطيع أحـد ـ سليم العـقل قويم التفكير ـ أن يدعى أن أكبر مستشرق مهما كان مبلغه من العربية وعمقه فى دراستها واستقراء لهجات العرب وبيان حقائقها أن يبز فيها صيارفها وأئمتها

كما لن يدعى أن أى دخيل فى الفرنسية أو الانجليزية أو الألمـانية أنه كهوجو أو شكسبير أوجوته فليس للضالع شأو الضليع

وهانحن أولاء نلقى نظرة على تلك « النقوش » لعل فيها شيئا من ضياء العلم وإشراق المنطق يهدى إلى الرشد ـ فأن نـكن قد وفقنا فذلك ما نبغى وإلا فحسبنا أن نكون قد نبهنا إلى مواضع حرية بالنظر جديرة بالاعتبار كما أننا فى الوقت نفسه

لانشك فى صحتها كما شك « هوجو فنكار وليونارد كنج وثاتشر وغيرهم من كتاب تاريخ « هارمزوث العالمى »

ولعل من المستحسن أن نلتمس العذر من القراء إذا نحن أكثرنا الاستشهاد بقول الأجانب فلقد تعودنا صدق مايقولون — كما أننا سنلتمس «الحقائق التاريخية » من الواقع المشاهد لنا أو من « المذاهب العلمية الحديثة » المقررة فى الأبحاث كما لانشك كذلك فى أنها كانت مفهومة عند طائفة من سكان اليمن القدماء

لكننا نشك فى أنها كانت مستفيضة بين أفخاذه أجمعين ذلك لأننا لانعلم من نقشها ولا فى أى عصر نقشت حتى تتأتى المقابلة بينها وبين اللغة المروية لنا عنهم وحتى يجوز اطراح إجماع علماء اللغة والثقات من مؤرخى الآداب العربية

بل إن إغفالها من التاريخ سبب اضطرابا كبيرا بين الباحثين فى الحكم عليها فنجد « جلازر » يردها إلى القرن السادس عشر - ق م كما أن « مولر » يرجعها إلى القرن التاسع ق م أيضا

ومهما اعتبرنا أحد الرأيين صحيحا فليس فى ذلك مايصح أن يكون دليلا علميا على إثبات « حقيقة علمية » أجمع كل مؤرخى الآداب على خلفها وذلك :-

(ا) لأن النصوص المروية إن لم يفد كل منها القطع منفردا فلا أقل من أن تفيد القطع مجتمعة

(ب) ولأن وسائل التحقيق التاريخى تختلف باختلاف العصور لا بمقدار ماتركه كل عصر من الآثار

(ج) ولأن لبعد الزمن شأنا كبيرا فى اختلاف اللهجات وتطور أوضاعها وصعوبة التمييز بينها

(د) ولأن سكان اليمن كانوا قبائل متعددة فبالطبع يتعدد لسانهم وعلى فرض أن لسانهم كان واحدا فقد ثبت أنهم تفرقوا فى أنحاء جزيرة العرب ثم عاد بعضهم إلى موطنه الأصلي وللبيئة أثرها البين فى تطور اللغة وتغيرها

(هـ) ولأن لغة النقوش تلك يتعذر بها التفاهم مع الحجازيين مع ما كان بينهم من الاختلاط التجارى فى رحلتى « الشتاء والصيف » فضلا عن تسلط اليمنيين عليهم تسلط حكم و إدارة

(و) ولأن الحوادث المدونة بالآثار لا تتعلق بكل تاريخ اليمن بل بأشخاص وحوادث معينة خاصة بأفراد معلومين

(ز) ولأن النقوش لم تعين هل هى سبئية أم معينية فهى ينقصها التحقيق التاريخ ،

(ح) ولأن العرب كانوا أميين أغلبهم

إذن لا يبعد أن تكون هذه الأحجار قد نقشت بأيدى الآراميين الدخلاء الذين استوطنوا اليمن أيام القحطانيين ولم ترسخ لهم قدم فى العربية

وليس ذلك ببدع فى الاستنتاج فنحن نكتب بغير اللغة التى نتكلم بها كما يكتب النوبيون لعهدنا هذا ـ بالعربية وهم لا يتكلمون بها

وكأنجليزية « تشوسر » وإنجليزية « ما كولى » أو أن بعضهم وضعها للأحاجى والألغاز كما تضع الطوائف (النورية) عندنا أو القبائل (الرحل) مواضعات يصطلحون عليها و يتكلمون بها

وأذكر أنه مر ركب منذ سنتين بفناء لنا فى قرية من قرى الريف فوضع فيه (أرحاله) وأقام عليه (خيامه) وكنت إذ ذاك بها أقضى شطرا من عطلتى السنوية فاتفق أن مررت يوما على هـذه الخيام فاستوقفنى رئيسهم وقاسمنى إلا ما شربت (الشاى) وبعد أخذ ورد بيننا قبلت ولكن على شرط أن أشرب (القهوة) لأنى لا أتناول (الشاى)

ولما استقر بنا المقام على (نقل) أمام (الخيمة) سمعته يتكلم مع ابنة له بسرعة مدهشة بلغة لا هى بالعربية ولا هى بالأعجمية وما أقربها إلى الأحجية والرقى فأثبت منها على غلاف كتاب كان معى ما يأتى :

(اسملى عناب جهوة قر صلوه حنا سأن فرفر الجيه بلبل لايجرب شنبر جاي شرشير)

أى (اعملى قهوة حلوه لأن البيه لا يشرب شاى) فأجابته بقولها
(إسنا حنا ماشندناش سن عمر بلح مجحون طرطير) أى
(إحنا (نحن) ماعندناش بن مطحون) فقال لها (إسلى غله الساء مرمر واسعتى بالك جالح صرصر يجترى شرشيب سن بلح مجحون طرطير) أى (اغلى المـاء وابعثى صالح يشترى بن مطحون)
فقالت « صادر حنا » أى (حاضر) « نعم »

فتفاهمت معه عن أصل هذه اللغة فتلاءم معى وانتهى بنا الكلام على أنها لغة يتوارثها الأبناء عن الآباء وهكذا

وأذكر أن زارنى صديق لى « وكيل نيابة » فأطلعته على غلاف الكتاب ليعجب فكان عجبى أكثر حينما أفهمنى أن محاضر «التحقيقات» فى البوليس والنيابة تحوى كثيرا من مثل هذه الصفحات

فأذن — على رأى هؤلاء المستشرقين — لو عثر على ورقة كتبت بهذه اللغة فى مصر أو العراق أو فارس أو الحجاز — أفتكون هـــذه لغة تلك الأقطار ؟

ولو ذهبنا نتعسف فى التدليل . إلى ما فوق المعقول . وطرحنا النصوص المروية بجملتها . وأخذنا بهذه النقوش على علتها . وصرفنا النظر عن كل احتمال أو تأويل . أو استغلال أو تعليل . وافترضنا أنها هى التى كانت شائعة بين بطون اليمن جمعاء لا يتكلمون بغيرها ولا يعرفون سواها أفلا يصح أن نعتبرها أصلا انحدرت عنه لغة اليمن المروية لنا بطريق التواتر وإجماع المؤرخين كما انحدرت الفرنسية والانجليزية عن اللاتينية واليونانية ؟

وليس من شك فى أن ستة عشر قرنا على رأى جلازر أو تسعة قرون على رأى ـ مولر ـ كافية جدا للتطور بين لغة النصوص ولغة النقوش كما أن أربعة قرون كفت فى تغير الانجليزية من لغة الفرد ـ الملك ـ إلى لغة «تشوسر» فأن الدكتور (جيمس مرى) يصرح بأن تعليم الفرنسية ؟ مع واحدة منهما أسهل من الجمع بينهما

ولم يكن الخلاف بمستبعد بين النصوص المروية والنقوش المكشوفة إذا نظرنا إلى لغتنا التى نتكلم بها الآن واللغة فى عصر صدر الاسلام حتى ليوشك أن تكون كل منهما لغة مستقلة عن الأخرى بالرغم من وجود «القرآن الكريم» بيننا وهو معجزة اللغة الأبدية التى تعصمها من كل تحريف أو تصحيف ومن وجود (الدين الأسلامى) الخالد المتصل بالعربية اتصال الروح بالجسد الحى

على أن الخلف بين اللغتين لم يكن وحده بكاف لقلب التاريخ رأسا على عقب ومحاولة إلغاء وجود المئات من مؤرخى الآداب العربية

لأن اللغة ككل الكوائن الحية قوامها عاملان قويان يتناولانها ويقومان على بقائها : عامل الابتكار الذى يسيغ لها كل شىء ــ وعامل الوراثة الذى يكبح جماحها ويقيد نفارها

فلو صدرت صورها معادة مكررة لا تمت إلى سابقتها بوشيجة ولا تتقابل معها فى وليجة لفسد اللسان وكانت اللغة فوضى

وما أشبهها بالطفل يخرج إلى الدنيا فيتلقاه عن اليمين وعن الشمال ذانك العاملان فلو هو خلى بينه وبين نوازعه وما تهديه إليه حيويته من الابتكار لجاء بعيدا عن أبيه لا يتصل معه بأية صلة

لكن عامل الوراثة يرد شمسته ويصد جمحته فيصبح وهو ليس الخطوة الأولى فى سبيل التجديد

على أننا لو تتبعنا مناشىء الخلف بين اللغتين لوجدنا لها نظائر وأشباها بين كل لغات العالم

بل لوجدنا أمثالها فى « القرآن الكريم » نفسه وهى لا تخرج غالبا عن خلف « فى التهجى والكتابة والنحو والصرف والمفردات اللغوية »

محمد الصاوى عمار

مدرس بالمدارس الأميرية

بين الحب والمجد

للدكتور زكى مبارك

ما أظن حضرات القراء إلا مقدرين صديقنا الفاضل الأستاذ الدكتور زكى مبارك فخر الشباب العصامى الناهض . وما رأيك فى إنسان يكرس نفسه على خدمة العلم ويقف حياته على طلبه . دون أن يكون له من معين غير الله وهمته القعساء ؟ ما تكاد تسمع بحصوله على شهادة ما ، حتى تراه قد جرى للحاق بثانية حتى يظفر بها ، فثالثة . الخ

زرته عقب عودته من باريس لأهنئه بنجاحه الباهر فتفضل بأرسال هذه القصيدة وهى أول مانظمه فى باريس عام ١٩٢٧ م . ننشرها لحضرته معجبين شاكرين ؟ **المحرر**

لم تنسنى فتنة الدنيا وزينتها ... ما فى شمائلك الغرّاء من فِتَنِ
أطوف بالحسن تصبينى بدائعه ... كما يطوف معنّى القلب بالدِّمَنِ
فلا تثير مغانيه ونضرته ... فى ظل ذكراك غير الهم والحَزَنِ
آمنت بالحب لولا أنت ماجمحت ... منى الضلوع إلى أهل ولا وطن

***

يامن تحيرت لاأدرى أيسعدنى ... غرامه أم هواه محنة المحن
ماضر لو نعمت عيناى أو شقيت ... قبل الفراق بمرأى وجهك الحسن
لولا مثالك فى باريس ألمحه ... فى طلعة البدر أو فى نضرة الفنن
ماصافح النوم أجفانى ولا احتملت ... جوانحى ماأثار البين من شجن

***

جنت على الليالى غير ظالمة ... إنى لأهلٌ لما ألقاه من زمنى
فما رأيت من الأخطار عادية ... إلا بنيت على أجوازها سكنى
ولا لمحت من الآمال بارقة ... إلا تقحمت ما تجتاز من قُنَنِ
أحلت دنياى معنى لاقرار له ... فى ذمة المجد ماشردت من وسن

زكى مبارك

من المحرر

أنتهز هـذه الفرصة لأشكر ـ بعـد الله ـ حضرات الأساتذة الأجلاء والكتاب الأدباء ، على ما أمدونى به من جليـل أبحاثهم ، وقيم موضوعاتهم

كذلك أشكر حضرات مواطنى النـبلاء ، وجميع إخواننا الشرقيين الذين عضدونى بعظيم إقبالهم ، وآزرونى بكبير تشجيعهم ، وقووا إيمانى برقيق كتبهم فازددت يقينا على يقين ، بقوله تعالى (إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا) واستوثق إيمـانى بما قلته فى الجزء الأول ونصه :

« إن من أهم أغراضنا : ربط البـلاد الشرقية بعضها ببعض أولا ، ومن ثم ربط الشرق بالغرب ثانيا . وذلك بالعمل على نشر معارف الأول فى الثانى ، فما يزال الشرق مبعث الحكمة والنور ، ومهبط الوحى والألهـام ، وأب العلم والمعرفة ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر »

كذلك أشكر حضرات الذين لاحظوا علينا ، أنا استنفدنا جزءا عظيما من صفحات الجزء الأول ، فى سبيل بحث الأستاذ حامد عبد القادر لمهيار الديلمى ، ونذكر حضراتهم بما كتبناه مباشرة تحت عنوان المقال ، ونصه :

« وبما أن وزارة المعارف قررت فى مناهج هـذا العام دراسة مهيار ، على طلبة (البكالوريا) قسم أدبى ، فقد رأينا أن ننشر فى هذا الجزء (الأول) قسما عظيما من هذا البحث ، واعدين بنشر بقيته ـ إن أمكن ـ فى جزء يونيه ، ليطلع حضرات الطلبة عليه قبل امتحانهم المقبل ، وفقنا الله وإياهم إلى النجاح »

وما أظن أنا بعد ذلك نلام . وإلا فهل هناك ماهو أعز على الأمة من أبنائها الطلبة ؟ وقديما قيل :

إنمـا أولادنا بيننا أكبادنا تمشى على الأرض

وإذن فلنكن عند وعدنا السابق ، وهانحن ننشر بقية البحث . وليأخذ من الصفحات ما يأخذ فى سبيل العلم نعمل ، وفى سبيل الحق نقول ، وفى سبيل الوطن نضحي ، هذه مبادئنا ، والله على ما نقول شهيد ووكيل ؟

المحرر

فى الأدب العربى

مهيار الديلمى

دراسة تحليلية لحياته وشعره

للأستاذ حامد عبد القادر

المدرس بالمدرسة الخديوية الثانوية

(تتمة البحث الذى نشرنا القسم الأول منه فى الجزء الأول من المعرفة)

(٢)

(٥) مدائحه

لم يكن لمهيار فيما نعلم غلة يعتمد عليها أو مهنة يزاولها إلا نظم القصائد يتقرب بها لدى الملوك والأمراء فلا عجب إذا ملأت أشعاره أربعة من كبار المجلدات إذ هى كل ماأنتجته تلك القريحة الوقادة وماأخرجه ذلك العقل الناضج خلال مايقرب من نصف قرن

وقد كان مهيار مرغما على قول الشعر ليقتات منه ويعيش عيشة هنيئة ويحيا حياة أمثاله من كبار الشعراء والكتاب وقد أغراه بذلك رواج سوق الشعر والأدب فى ذلك العصر واتصاله بكثير من الأمراء والأدباء وبالأوساط التى كانت تضم أستاذه الشريف الرضى وهذا هو السبب فى أن معظم مطولاته فى المدح والتهنئة

فاتصاله بملوك بنى بويه ووزرائهم وولاتهم وحاجته إلى عطاياهم وتقديرهم لشعره حق قدره بل وتحريضهم إياه على صوغ القوافى كل هذه شجعته على أن يمدحهم و يسجل مفاخرهم ويبكى موتاهم بكاء مراً ولايدع حادثة مهمة إلا و يسجلها بشعره ولايترك فرصة إلا و يتخذها وسيلة لأظهار براعته فى الشعر وعلو كعبه فى صوغ القوافى لاسيما بعد أن غابت شمس الشريف الرضى من سماء الشعر (٤٠٦) عقب أفول نجم ابن نباتة السعدى (٤٠٥) أى خلال الاثنتين والعشرين سنة الأخيرة من سنى حياته

ويدلنا على أنه كان أشد اتصالا بالعجم أن أطول قصائده وأكثرها عددا هى تلك التى نظمها يحيى بها ملوكهم وأمراءهم ويهنئهم بمواسمهم وأعيادهم وبمـا ينالهم من مراتب عالية أو خلع سنية وهذا يبرهن على أنه كان محافظا على وطنيته مائلا بطبعه إلى فارسيته فهو أطول نفسا إذا مدح وزراء بنى بويه وهنأهم بالأعياد الفارسية وهى النيروز والمهرجان والسدق فقد يصدر ثلاث مطولات فى مهرجان واحـد ولم نعلم فيما نعلم أنه مدح أحدا من خلفاء بنى العباس أو أنه أطال فى التهنئة بالعيدين

وقلما نجد مطولة من مطولاته فى المـدح إلا وهى مصدرة بغزل رقيق أو نسيب دقيق وكثيرا ما كان يجرى فيها على عادة القدماء من وصف الديار بعد ارتحال الأحبة وقطع الفلوات فى انتجاع ديار الكرماء فمدائحه فى الغالب طويلة تكاد تكون قاصرة على الفرس وأعيادهم وكثيرا ماتجدها مصدرة بالغزل الذى تغلب عليه طريقة المتقدمين

(٦) تـكسبه بالشعر

أما أن مهيار كان يتكسب بالشعر فهذا مالا سبيل إلى إنـكاره وهو نفسه لايرى فى ذلك غضاضة ولا عيبا يدلك عليه ماسنورده عليك من نماذج مدحه التى يعرض فيها بالسؤال ولايعده نقيصة

ولكنه مع ذلك ليس بملحف ولا بملح فى المسألة فهو يرى نفسه جديرا بأن يعطى المال جزاء على فضله ومكافأة على نبوغه وقد ضاقت سبل العيش فى وجهه وانقطعت عنه أسباب الرزق يوما من الأيام فقال : (١)

أعينونى على طلب المعالى   فقد ضاقت بها سعة احتيالى
ودلونى على رزق بعيد   وإن هو قل عن بذل السؤال
فلو قنن الجبال زحمن جنبى   وقعن أخف من منن الرجال(٢)
وإلا فاسلبونى حظ فضلى   إلى ما فاتنى من حظ حالى
ونجونى وحيدا لا على الـ   ـمحاسن والشقاء بها ولا لى

ولم يكن مثل غيره من المتقدمين من الشعراء متقلب الأهواء يميل مع النعماء حيث تميل ويسير مع المال حيث سار فلم يكن يمدح من لا يستحق المدح رغبة فى عطاياه أو يهجو العظيم إذا قطع عنه هداياه ولكنه كان يمدح الكبار من أرباب الدولة وكان مع ذلك وفيا محافظا على قديم مودتهم معترفا بسابق صلتهم وربما كان أوضح مثال لوفائه قوله فى القصيدة السابقة

وخلّ كان إن أخفقت مالى   وإن أنا خفت نازلة مآلى
يحوط جوانبى ويذب عنى الـ   أذى ذب الجفون عن النضال
وإن أهديت بكرا من ثناء   إليه تميس فى حلل الجمال
تناهى فى كرامتها قبولا   وغالى فى المهور بها الثقال
فغيره الزمان وأى حال   من الأحداث سالمة بحال
ونكس رايتى منه نصيرى   وميل صعدتى رب اعتدال(٣)
كنور الشمس منه البدر ينمى   ومنه النقص يسرى فى الهلال
ولكن جفوة لم تنس عهدا   ولم تجز الدلال إلى الملال

(١) راجع الديوان ص ٣٥ ج ٣ (٢) القنن جمع قنة وهى أعلى الجبل (٣) الصعدة : القناة المستوية نبتت كذلك لا تحتاج إلى تثقيف . ثم أستعيرت لقناة الظهر

ومما يدل على تعففه قوله (٥٦ — ١ مختارات البارودى)

بريدوننى أن أشترى المال سائلا بعرضى وطيب الفرع أن يحفظ الأصل
ويقبح عندى (والفتى حيث نفسه) سـؤال بخيل مثلما يقبح البخل
فلى منه إما المنع والعذر بعـــده يلفق مكذوبا أو المن والبذل

(٧) من اتصل بهم مهيار من العظماء

لو نشاء لذكرنا لك عشرات من الفرس والعرب الذين اتصل بهم مهيار وعكف على مدحهم وعكفوا على صلته ولكن يكفى أن نقول :—

(١) إنه مدح من ملوك بنى بويه جلال الدولة ركن الدين ملك العراق (٤١٦ - ٤٣٥) ومن أشهر ما مدحه به قصيدة طويلة أولها غزل رقيق هو : (١)

بطرفك والمسحور يحلف بالسحر أعمدا رمانى أم أصاب ولا يدرى
تعرض بى فى القانصين مسدد ال إشارة مدلول السهام على النحر
رمى اللحظة الأولى فقلت مجرب وكررها أخرى فأحسست بالشر
فهل ظن ماقد حرم الله من دمى مباحا له أم نام قوم على الوتر

وفيها يمدح جلال الدولة (ركن الدين) فيقول :

تعالى بركن الدين صوتى وشيدت محاسنه وصفى وسار بها ذكرى
وكان إلىّ الدهر بالشر ناظرا فغمض عنى جوده ناظر الدهر
وإن كان هذا الدهر قدما يطيعنى فقد زاد بسطا فى لسانى وفى فكرى
وكنت له نجما فلما مدحته كسانى سنا إقباله بلجة الفجر (٢)
إليك مليك الأرض ألقت ملوكها اضـــطرارا عنان النهى فى الأرض والأمر
ودان لك الغر الميامين من بنى بويه كما دان الكواكب للبدر
رأوك فتاهم فى الشجاعة والندى وشيخهم المتبوع فى الرأى والعمر

(١) راجع الديوان ص ٧٥ ج ٢ (٢) البلجة بوزن الفرجة والضربة : نقاوة ما بين الحاجبين

فأعطوك طوعا ماتعـــذر منهم ... على كل باغ بالكراهة والقسر
نظمت لهم عقـد العلا وفضلتهم ... فأصبحت وسط العقد فى ذلك النحر
لكم أول الدنيا القديم وعنكم ... يكون قيام الأمر فى ساعة الحشر
ولا تطعم الدنيا بنيها سوى الذى ... تشيرون من حلو إليـه ومن مر
بكم يصبح الدين الحنيف آمنا ... إذا بات مخلوع الفؤاد من الذعر

وقد شغب الأتراك من الجنود على جلال الدولة وثاروا عليه فتمكن من إخضاعهم وإرجاعهم إلى الطاعة فنظم مهيار قصيدة عامرة الأبيات يسجل الحادثة و يمدح جلال الدولة و يمدح آل بويه معه و يبدأ القصيدة كعادته بغزل لطيف فيقول: (٢٥٠ — ٢)

فى كل دار عدو لى أقاذعه ... وعاذل أتقيه أو أصانعه
وآمر بسلو لا يطاوعنى ... قلبى عليـــه وناه لاأطاوعه
يعيا بوجدى ولم يحمل بكاهله ... ثقلى ولاضمنت قلبى أضالعه
كأننى أول العشاق طاب له ... مغنى الأحبة وارفضت(١) مدامعه
عابوا وفائى لمن أهوى وقد علموا ... أن الخيانة ذنب لاأواقعه
وهل تصح لمأمون أمانته ... يوما إذا الحب لم تحفظ ودائعه
نعم وقفت على الأطلال أسألها ... ما كل مستخبر تصغى مسامعه
وقد يجيبك وحيا من تخاطبه ... وتفهم القول ممن لاتراجعه

وفيها يقول مشيرا إلى ثورة الأتراك:

أما ترى ملك الأملاك خاونه ... عبيده وعتت كفرا صنائعه
ثعالب تتقاوى ساقها وعل ... لضيغم لم تزعزعه زعازعه
ماقمت تزأر منها واحدا صمدا ... إلا وجبار ذاك الجمع خاشعه
رأوا ولاءك وسما فى جباههم ... فذلهم لك أن عزوا طوابعه

(١) ارفض: سال

وكيف تعصى رقاب أنت مالكها   ملك اليمين وسيف أنت طابعه
عادوا وبسطة أيديهم تثقلها   أغلال منك فيها أو جوامعه

ثم هو بعد ذلك يمدح جلال الدين وآل بويه فيقول :

يامن إذا قال هل فى الأرض من ملك   سواى لم ير مخلوقا ينازعه
من مات من قومك الصيد (١) الكرام   فقد أحياه ذكرك وابتلت مضاجعه
ومن على الأرض منهم سيد ملك   فأنت خافضه أو أنت رافعـــه
الله سربلكم بالملك مصلحة   للعالمين فمن ذا عنك نازعه
وهل يقوض بيت من رجالكم   عماده وبأيديكم مجامعـــه
فركن دولتكم بالأمس أوله   وأنت ياركن دين الله رابعه (٢)

(٢) ومن الوزراء الذين خصصهم مهيار بمدائحه الغر الطوال بنو عبد الرحيم وزراء بنى بويه نذكر منهم على الأخص أبا سعيد بن عبد الرحيم الملقب بعميد الدولة وزعيم الأمة وأباه أبا القاسم وزعيم الملك أبا الحسن وزعيم الدين الحسن فمن قصائده العديدة التى مدح بها أبا سعيد قصيدة مطلعها : (ص ١٤٦ جـ ١)

سل الركب إن أعطاك حاجتك الركب   من الكاعب الحسناء تمنعها كعب (٣)

وفيها يقول يمدح عميد الدولة وبنى عبد الرحيم :

ومد عميد الدولة العرض راسخا   تحدث عن ضرب العلا الرجل الضرب (٤)
وما علمت أم الكواكب (٥) قبله   وقبلهم أن الهلال لها عقب
وأن شروق الشمس عنهم سينتهى   إلى ملك فى [illegible] الشرق والغرب
أرى الملك بعـــد الميل قامت قناته   ول[illegible] ما انصدع الشعب (٦)
لك البلجة البيضاء إن مات فجره   وفى يدك التفريج إن غشى الكرب

---

(١) الأصيد الملك أو الرافع رأسه كبراً والجمع صيد (٢) [illegible]لال الدين ركن الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الد[illegible] (٣) كعب : اسم قبيلة (٤) الرجل الضرب : الماضى الخفيف اللحم (٥) أم الكواكب : الشمس (٦) الشعب الكسر الصدع

وقال يمدح بنى عبدالرحيم أيضا من قصيدة طويلة : (ص ١٣٣ ج ١)

لتسق بنى عبـد الرحيم أكفهم ... فأروى الحيا (١) وكفّافه وصبيبه
هم القاتلون الأزم والعام مسنت (٢) ... يقطب فى وجه المسيم (٣) جدوبه
ربا الملك طفلا ناشئا فى حجورهم ... وأشيب هـــذا الدهر بعد ربيبه

وفيها يمدح زعيم الدين الحسن بقوله :

إذا (مازعيم الدين) حدث عنهم ... توارد شبان الفخار وشيبه
هو البلجة البيضاء فى وجه عزهم ... إذا شان عز القوم بان شحوبه
فتى كملت فيـه أداة اكتهاله ... وغصن الصبا لم يعس (٤) بعد رطيبه
تحمل أعباء الرياسة ناهضا ... فما لان من عرض الرجال صليبه

ومن أجود مدائحه لبنى عبد الرحيم قوله (مختارات البارودى ص٣٠٩ ج ٢)

ولدتهم أم الفضائل أخوة ... متشابهين أصاغرا كأكابر
كالراح كل بنانها منها وإن ... بان اختلاف أباهم وخناصر

(٣) ومن أرباب الدولة الذين اتصل بهم مهيار آل أيوب وعلى الأخص عميد الرؤساء أبا طالب الذى استوزره القادر بالله (٣٨١ — ٤٢٢) مكان أبى الحسن ابن حاجب النعمان وقد مدح مهيار أبا طالب هذا و بالغ وأتى بالعجب العجاب فمن ذلك قوله : (الديوان ص ٣١٠ ج ٣)

لولا ابن أيوب وآباؤه ... ما نهضت محصنة عبد كريم
قوم إذا ما احتجزوا بالحبى ... قالوا فكانوا شرفا للخصوم
أوعد مجـد الناس أطرافه ... وجنبه عدوهم فى الصميم
أو ركبوا الخيل إلى مأزق ... تبدلوا الهام بقوس الشكيم
بيض المجانى نور أوضاحهم ... يشد فى وجه الزمان البهيم

(١) الحيا : المطر (٢) الأزم : الضيق ومسنت : مجدب (٣) المسيم : الراعي
(٤) لم يعس : لم يكتهل

إن كوثروا سدوا مسد الحصا — أو فوخروا أغنوا غناء النجوم
أو قطرت فى المحل (١) أيديهم — بانت بها آثار بخل الغيوم
عندك منهـــم بأبى طالب — ماوصف الحادث فضل القديم

ومن جيد مدحه لأبى طالب قوله : (الديوان ص ٣٣٨ ج ١)

رأى المعـالى بالمساعى تقتضى — والشرف المحرز من كسب الندى
فصاعب الأسود فى أغيالهـا — صرامة وجاود الغيث جدا (٢)
وكلما قيـل له قف تسترح — جزت المدى قال : وهل نلت المدى؟
ناهض ثقل الدولتين فكفى الـــملك الطريف ما كفاه المتلدا (٣)
وكان للأمرين منـــه جنة — مسرودة وصارما مجردا
فاغترس «القادر (٤)» يوم نصره — واستثمر «القائم بالأمر» غـدا
قام بأمر جامع صلاحه — فضمه بنفسه منفردا
فلست أدرى ألوحى هابط — أم اختيـارا لقّباه الأوحـدا؟
وزارة وفرها لدسته — أن أباه قبل فيـــه استندا
دبرها مستبصرا فلم يكن — مفوضا فيها ولا مقلدا
يسند عن أبائه أخبارها — صادقة إذا اتهمت المسندا

(٤) ومن الوزراء الذين مدحهم مهيار الوزير الكافى الأوحد وزير الرى الذى كان يدر على مهيار الخير ويجرى عليه العطايا والهبات لينطق لسانه بمدحه وتشيد قصائده من ذكره فمن ذلك قوله : (الديوان ص ٢٣٠ ج ١)

ومن بلّغته الأوحد الـكافى المنى — تغزل مكفيا وفاخر أوحـدا
لذاك اشتياقى ليس أن جازنى له — على البعد إحسان ولافاتنى ندى
مواهبه سارت لحـالى كثيفة — وشعرى مطلوبا وذكرى مشيدا
فمن نعمة خضراء تسبق نعمة — له ويد بيضاء لاحقة يدا

(١) المحل : الجدب (٢) غنى (٣) القديم (٤) الخليفة القادر بالله

فتى لم أجد لى غيره فأقول : ما | أعم عطاء من فلان وأجودا
أنال وفى الأيام لين وأيبست | فلم ينتقص ذاك النوال المعودا
إذا بلغ الزوار بابك ألقيت | رحال ذليل عز أو حائر هدى

(٥) ومن هؤلاء الوزراء فخر الملك الذى يقول فيه مهيار (من قصيدة يهنئه فيها بليلة السدق (ليلة الألعاب النارية) (الديوان ص ٣٦٢ ج ٣) وقد اتخذها الفرس عيدا ثالثا ليوم النيروز والمهرجان يعمل فى ليلة الحادى عشر من شهر (بهمن ماه) وهم يكثرون فيه من إشعال النار و إيقاد الشموع)

عادى بك الناس ناسا والزمان فتى | وقام ظهر حناه الشيب والهرم
لكل وقت نصيب منك تلحظه | فيه العناية حتى تستوى القسم
يوم بعدلك مات الظلم فيه إلى | ليل بنورك ماتت تحته الظلم
وليلة من ضياء وهى مظلمة | بليلة من «جمادى» وهى تضطرم
وجه الزمان بها حران ملتهب | وقلبها بارد من حسنها شبم (١)
تاهت على العام إذ صيرتها علما | فيه ، وبالنار ليلا يعرف العلم
افتح علىّ وعلمنى الذكاء وصف | هذا مقام على الأفكار ينعجم(٢)
أدارك الأفق العالى أم افتضحت | لها السماء يقينا أنها حرم
أم الكواكب من شوق إليك هوت | ترجو نداك فمجموع ومنفصم
أم أنت يوسف موعودا وقد سجدت | لك النجوم وهذا كله حلم

(٦) وقد كان بين مهيار و بين الرئيس أبى الحسن محمد بن الحسن الهمانى أمير النهراوان (مقاطعة إلى الجنوب من بغداد) صلة متينة وخلطة قديمة فكثيرا ما كان يمدحه مهيار . ومن مدائحه له قوله من قصيدة مطولة : (الديوان ص ٣٥٦ ج ٣)

أبا حسن أمطرت منى دوحة | تطول وتنمى والغمام جهام
مباركة تجنى لأول حولها | ويذوى أراك حولها وتشام

---

(١) شبم . بارد (٢) لايبين

وضعت سنانا دون عرضك والفاً دما ولسانا أن أجـــد خصام
وأسمنت أيامى فعدن بدائنا وهن جلود من ضنى وعظام

وفيها يقول مشيرا إلى أشعاره :

فلا يعد منك الحمد منى شواردا لهن على بعد المسير مقام
من الكلم المختص يعلم ما أتى وفيه كما فى قائليه طغام
مولدة ما بين كسرى ويعرب وفى السيف ماء كامن وضرام
أصول لها قصر المدائن خطة وفرع لها بالأبطحين خيام
فليتها كفا عروفا بحقها لها منك كفل ناهض وقوام
وعشت وعاش الحاسدون بدائهم فأن حياة الحاسدين حمام

(٧) ومن مشاهير كتاب العصر الذين اتصلوا بمهيار وكاتبوه وشملهم بمدحه أبو الحسين أحمد بن عمر النهروانى (١٨٤ — ١) وأبو منصور الحسن بن على بن المزرع (١٢٠ — ١) والحسن المختار بن عبد الله الذهبى (١٦١ — ١) وأبو الحسن هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابى (٩ — ١)

والظاهر أن مهيار لم يظهر فى عالم الشعر ولم يذع صيته فى أفق الأدب إلا بعد أن دالت دولة المشاهير من كتاب العصر أمثال الصاحب بن عباد وبديع الزمان فأنا على كل حال لانجد لهؤلاء أثرا فى شعر مهيار

هـذا قل من كثر وغيض من فيض من مدائح مهيار التى أذاعت ذكره فى المشرقين وجعلت الكبار يخطبون وده ويتقربون إليه وماظنك برجـل يتقرب إليـه الملوك والأمراء ويحافظ على ولائه الكتاب والأدباء ولاعجب فالحياة كانت فى ذلك العصر حـــياة منافسة وصراع لابين بعض الدول و بعض فقط ولـكن بين بعض الأمراء فى دولة واحدة و بعض

ولسنا بمبالغين إذا قلنا لك إن كثيرا من أرباب الدولة كانوا يطلبون من مهيار أن يعطف عليهم وينوه بذكرهم فى أشـعاره ويتوسلون إلى ذلك بأغداق العطايا عليه و باتخاذ أصدقائه وأحبائه شفعاء لديه

ومن كرر الرغبة فى التقرب إلى مهيار والفوز بمدائحه الصاحب عميد الحضرة أبو طاهر بن حماد (١٠٢ — ١) وأبو الحملات شبيب بن حماد بن مزيد من أمراء الجند (٩٨ — ١) والشريف أبو على عمر بن محمد السابسى (٢١٣ — ١) والرئيس أبو القاسم هبة الله بن على بن ماكولا (٤١١ — ١) والأمير نور الدولة دبيس بن على بن مزيد (٢٨٦ - ١)

(٨) مراثى مهيار

وفى مراثى مهيار تتجلى لك ناحية أخرى من شخصيته فأنت تتصوره فى مدائحه طربا متبسطا يميل إلى المزاح والعتاب الظريف ولكنك حينما تسمع مراثيه تتخيله حزينا كاسف البال منغص العيش ناقما على الدنيا وعلى مافيها لاتهنأ له حياة ولايروق فى نظره نعيم

وتمتاز مراثيه بقصرها بالنسبة لمدائحه وبكونها خلوا من المقدمات الطوال فهو يبدؤها بالبكاء والتحسر ولا يقف ولا يستوقف ولا يعطى للسامع حينما يسمع مطلع القصيدة فرصة للشك فى أن القصيدة فى الرثاء

ويلاحظ أن البحور الشعرية التى استخدمها مهيار فى مراثيه تكاد تكون محصورة فى الكامل والطويل ذينك البحرين البطيئين فى حركاتهما بطء الجنائز فى سيرها وإنك لتجد ألفاظ مراثيه فخمة مشعرة بجلال الموضوع وهيبته كما تجد تراكيبها جزلة متينة محكمة البناء تصيب المعنى المراد كما تصيب المنية من انقضت آجالهم وتقيم لك برهانا بعد برهان على شدة توجع الشاعر وعلى أن مايقوله صادر عن قلب جريح وفؤاد مكلوم فلا تكاد تنتهى من قراءة بيت وتفهم معناه إلا وتشعر بقلبك يضطرب وفؤادك يضطرم

والحق أن مهيار أجاد هذا الفن من فنون الشعر أيما إجادة والظاهر أنه حاوله مرات عديدة فنبغ فيه وأتقنه « وإنما العلم بالتعلم » وماذلك إلا لأنه كان مرغما بحكم ظروفه وكثرة أصدقائه الذين هو لسانهم المعبر عن أفراحهم الحزين لأحزانهم على أن يذكر هؤلاء فى الضراء كما ذكرهم فى السراء وذلك

لا يكون إلا بتعزيتهم إذا فقدوا عزيزا لديهم وبرثائهم هم أنفسهم إذا اختطفتهم يد المنون وحرم لذة لقائهم والتمتع بخيراتهم

ومن مشاهير الأشراف الذين رثاهم مهيار أبو الحسن بن الناصر العلوى خال الشريف الرضى (٣٤٦ — ١) والشريف الرضى نفسه (٢٤٩ — ١) و (٣٣٦ — ٣) ومن الأمراء الكافى الأوحد (٢٧ — ٣) والصاحب أبو القاسم ابن عبد الرحيم (٤١٨ — ١) وأبو الحسن أحمد بن عبد الله (٥٤ — ١) وعميد الجيش أبو على بن أستاذ هرمز (٣٤٩ — ٣)

ومن الشعراء ابن نباتة السعدى (٥٤ — ٣)

ومن الكتاب أبو الحسن الهمانى (١٩٠ — ١)

وعندى أن أنخم مراثيه مارثى به الشريف الرضى رثاه بقصيدتين مطلع أولاهما الذى هو :

من جب(١)غارب(٢) هاشم وسنامها ولوى لؤيا فاستزل مقامها

يكفى وحده للدلالة على أن القصيدة قصيدة رثاء وأن المرثى من أشراف هاشم ولؤى وجلال الألفاظ ومتانة التراكيب وروعة البدء تبرهن على ماذكرنا لك آنفا من براعة مهيار فى فن الرثاء

وإن الأبيات التالية لتزيدك يقينا بصحة مانقول . اصغ لمهيار يندب

وغزا قريشا بالبطاح فلفها بيد وقوض عزّها وخيامها
وأناخ فى مضر بكلكل(٣)خسفه يستام (٤) واحتملت له ماسامها
من حل مكة فاستباح حريمها والبيت يشهد واستحل حرامها
ومضى بيثرب مزعجا ماشاء من تلك القبور الطاهرات عظامها
يبكى النبي ويستنيح لفاطم بالطف (٥) فى أبنائها أيامها

(١) جب : قطع (٢) الغارب : الكاهل وهو ما بين السنام والعنق (٣) الكلكل : الصدر (٤) يستام : يبتاع بالمساومة (٥) الطف : شاطىء الفرات الذى قتل عنده الحسين بن على

الدين ممنوع الحمى ؛ من راعه ؟ والدار عالية البنا ؛ من رامها ؟
أتناكرت أيدى الرجال سيوفها فاستسلمت؟ أم أنكرت إسلامها؟
أم غال ذا الحسبين حامى ذودها قدر أراح على العدو سوامها

ثم أنصت له بعد ذلك يعدد مفاخر أستاذه بقوله :

حل الملوك لك الجنى وتسلبت(١) قمم عمائمها استقين كمامها
أبكيك للدنيا التى طلقتها وقد اصطفتك شبابها وعرامها(٢)
ورميت غاربها بفضلة معرض زهدا وقد ألقت إليك زمامها
والأرض كنت على فقاره(٣) ظهرها علما إذا كتم الدجى أعلامها

ثم هو بعد ذلك يذكر ما كان للشريف من امتلاك لنواصى القول وتفوق فى صوغ القوافى فيقول :

ولقوله عوصاء(٤) ارتج بابها ففتحته لما ولجت خصامها
وقلائد قذفت بحارك درها وقضى لسانك رصفها ونظامها
هى آية العرب التى انفردت بها راعيت فيها عهدها وزمامها
حمست حتى قيل صب دماءها وغزلت حتى قيل صب مدامها
ماتت بموتك غير ماخلدته فى الصحف إذ أمدته أقلامها

وفيها يقول متحسرا على فقد أستاذه :

لأساهرن الليل بعدك حسرة إن ليلة عابت حزينا نامها
ولأسرجن عن العزول على الأسى أذنا محرمة على من لامها
ولأبدلن الصبر عنك بقرحة فى الصدر لا يجد الدواء لحامها
أبكى لأطفئها وأعلم أننى بالدمع محتطب أشب ضرامها

ولما رثى مهيار الشريف بهذه القصيدة عز على قوم ممن كانوا يحسدون

---

(٤) تسلبت المرأة أحدت على زوجها والكمام جمع كم وهو وعاء الطلع
(٢) العرام : الشدة (٣) الفقاره : الفقره (٤) العوصاء : المعقدة

الرضى على فضله فى حياته أن يرثى بمثل هذه القصيدة بعد وفاته فأطلق مهيار للسانه العنان فجرى فى ميدان البيان وشفع القصيدة بأخرى لا تقل عنها منزلة ردا على هؤلاء الحاسدين وانتقاما من الأعداء الشامتين

وهاك شطرا صالحا من هذه القصيدة (٢٤٩ — ١)

قريش لا لفم أراك ولا يد فتواكلى غاض الندى وخلا الندى
خولست فالتفتى بأوقص (١) واسألى من بز ظهرك وانظرى من أرمد (٢)
وهى الذحول (٣) فلست رائد حاجة تقضى بمطرور (٤) ولا بمهند
خلاك ذو الحسبين انقاضامتى تجذب على حبل المذلة تنقد
قمر الدنا أضحت سماؤك بعده أرضا تداس بحائر وبمهتدى
فإذا تشادقت (٥) الخصوم فلجلجى وإذا تصادمت الكماة فعردى (٦)
عادت أراكة هاشم من بعده خورا (٧) لفأس الحاطب المتوقد
كانت إذا هى فى الأمامة نوزعت ثم أدعت بك حقها لم تجحد
بكت السماء له وودت أنها فقدت غزالتها (٨) ولما يفقد
وبكاك يومك إذ جرت أخباره ترحا وسمى بالعبوس الأنكد
صبغت وفاتك فيه أبيض فجره ياللعيون من الصباح الأسود

ومن رثائه لابن نباته السعدى قوله (٥٤ — ٣)

حملوك لو علموا من المحمول فارتاض (٩) معتاص وخف ثقيل (١٠)
واستودعوا بطن الثرى بك هضبة فأقلها أن الثرى لحمول
هالوا التراب على دقيق شخصه معنى التراب وقد حواه جليل
جسد حبست على التبلغ زاده فسمنت من طرفيك وهو هزيل

(١) الأوقص : العنق القصير (٢) الأرمد : الذى به رمد (٣) الذحول : الأحقاد (٤) المطرور : المحدد يريد سنان الرمح (٥) تشادق : أفاض فى المنافسة (٦) عرد : هرب (٧) الخور : الضعف (٨) غزالة السماء : الشمس (٩) ارتاض الفرس أصبح مروضا ذليلا (١٠) المعتاص من الأمور : الشديد

لو تعقل الدنيا ؟ بأى بقية (١) زال الردى عنها وأنت تزول
علمت ببيعك أن يومك صفقة مغبونة ومن البيوع غلول

وفيها يقول :

ياناشد الكلم الغرائب أعرضت شبها فليس لآيها تأويل
قم ناد فى النادى ألابن نباتة أذن فيسمع أو فم فيقول
واسأل غطارف(٢) من تميم أمهم يوم انطوى عبد العزيز ثكول
لم أغمدت عن نصره أسيافكم ولسانه من دونكم مسلول
أو ما لبستم ماكسا أعراضكم رقشاء يعرض(٣) نسجها ويطول
ضيعتم رحما رعاها برهة ويبيسها بكلامه (٤) مبلول

وقال يرثى الكافى الأوحد (٢٧ — ٣)

ما للدسوت وللسروج تسائل من قائم عنهن أو من نازل
لم سد باب الملك وهو مواكب وخلت مجالسه وهن محافل
ما للجياد صوافنا وصوامتا نكسا(٥) وهن سوابق وصواهل

وفيها يقول :

لم يفنك الكرم العتيد ولا حمى عنك السماح ولا كفاك النائل
كنت الذى مر الزمان وحلوه فيمن يصابر عيشه ويعاسل
فغدوت مالك فى عدوك حيلة تغنى ولا لك من صديقك طائل
والموت أجور حاكم وكأنه فى الناس قسما بالسوية عادل
لا اغتر بعدك بالحياة مجرب عرف الحقوق فلم يرقه الباطل

وقال فى رثاء أبى الحسن أحمد بن عبدالله :

ياثاويا لم تقض حق مصابه كبد محرّقة وجفن هامل

---

(١) البقيه العقل والفهم « فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقيه ينهون عن الفساد » (٢) غطارف جمع غطريف وهو السيد الكريم فى قومه (٣) الرقشاء : البرده المتقطعه (٤) الكلام . الجروح (٥) نكسا : ضعيفا

أفديك لو أن الردى بك قابل من مهجتى وذوى ما أنا باذل
ما بال أوقاتى بفقدك هجرت ولقد تكون لديك وهى أصائل
قد كنت ملتحفا بمدحك حلة فخرا تجر لها على ذلاذل(١)

وقال فى رثاء أبى الحسين أحمد بن عبد الله :

نعم هذه يادهر أم المصائب فلا توعدنى بعدها بالنوائب
هتكت بها ستر التجامل بيننا ولم تلتفت فينا لبقيا المراقب
ومازلت ترمى صفحتى بين عاضد ومنحرف حتى رميت بصائب
أبعد ابن عبد الله أحظى براجع من العيش أو آسى على أثر ذاهب
طوى الموت منه برده فى درو جها بقية أيام الكرام الأطايب

(٩) الغزل والنسيب

قدمنا لك أن جل مدائح مهيار إن لم يكن كلها مصدرة بالغزل ذلك الفن الذى كان يميل إليه مهيار بطبعه وربما تعجب إذا وجدت أن غزله من النوع العفيف الذى لا يخرج عن حدود الحشمة مع أنه كان يسكن بيئة مجون ويعيش فى عصر خلاعة ويقيم فى مدينة بغداد عهد المنادمة والفجور فى ذلك العصر ولكن سرعان ما يزول عنك هذا العجب إذا ذكرت اتصال مهيار بالشريف الرضى والشريف كان من أكبر الغزليين ولكن شرف محتده وعلو منزلته فى قومه وعشيرته وما عرف به من الوقار والاحتشام كل هذه أبت عليه أن يجنح إلى سقط القول ويتنزل إلى التفحش فى الغزل وقد كان لذلك أثر كبير فى نفسية مهيار الذى يمتاز غزله برقة ألفاظه وعذوبة تراكيبه « وخفة روحه »

وشاعرنا يلعب هنا بالألفاظ ويذهب بها كل مذهب « كأنما يدخرها فى علب » ويميل إلى الظهور فى لباس الشاعر البدوى الذى يحن إلى البادية ويكثر من ذكر ألفاظ البدو فيتغنى بالغضى (٢) وبجرعاء الحمى وبالبيداء والبيد

(١) الذلاذل : أقمصة مختلفة الطول يوضع بعضها فوق بعض (٢) الشجر

وربما كان هذا هو الفن الوحيد من فنون الشعر الذى يتظاهر فيه مهيار بالعروبة وإن كنا نجد فى بعض غزله ذكر بابل وما فيها من السحر والسحرة مثل قوله (٦٤ — ٣)

أأصحو على النظر البابلى ... والخمر والسحر فى بابل
تعجلت يوم اللوى نظرة ... ولم أتلفت إلى الآجل
فكنت القنيص بها لا الغزال ... بعينى لا كفة الحابل
فيارب قلد دمى مقلتى ... بما نظرت واعف عن قاتلى
هنيئا لحبك ذات الوشاح ... دم طل فيه بلا عاقل

ومن جيد غزله غير ما ذكرنا فى مدائحه (٣٢٧ — ٣)

بكر العارض تحدوه النعامى(١) ... فسقاك الرى يادار أماما
وتمشت فيك أرواح الصبا ... يتأرجن بأنفاس الخزامى (٢)
أين سكانك لا أين هم ... أحجازا أقبلوها أم شآما

وفى هذه القصيدة يقول :

قل لجيران الغضا آه على ... طيب عيش بالغضا لو كان داما
نصل العام وما ننساكم ... وقصارى الوجدان نسلخ عاما
حملوا ريح الصبا نشركم ... قبل أن تحمل شيحا(٣) وثماما
وابعثوا أشباحكم لى فى الكرى ... إن أذنتم لجفونى أن تناما
وقف الظامى على أبوابكم ... أفيقضى وهو لم يشف أواما(٤)
ما يبالى من سقيتن اللمى ... منقكن الماء عذبا والمداما

(١) العارض السحاب المعترض والنعامى ريح الجنوب وهى أبل الرياح وأرطبها (٢) الخزامى كحبارى نبت زهرة أطيب الأزهار نفحة والتبخير به يذهب كل رائحة منتنة وشربه مصلح للكبد والطحال والدماغ البارد (٣) الشيح نبت معروف له رائحة والثمام نبت ضعيف له خوص أو شبه الخوص (٤) الأوام : العطش

واعجبوا من أن يرى الظـلم حلالا شارب وهو يرى الخمر حراما (١)
أشتـكيكم و إلى من أشتـكى أنتم الداء فمن يشفى السقاما
وأنـتم والدهر سيف وفم ما تمـلان ضرابا وخصاما

ومن رقيق غزله قوله (٣٤٤ — ١)

أعانق غصن البان منها تعـلة فأنـكره مساً وأعرفه قداً
وأعدل لثم الأقحوان بثغرها فأرزقه برقا وأحرمه بردا
فلله من لم استعض عنه غائبا ولم أر منه ظالما أبدا بدّا

وكذلك قوله (ابن خلكان ص ١٩٧ ج ٢ طبعة بولاق)

أرقت فهـل لهـا جعة بسلع على الأرقين أفئـدة ترق
نشدتك بالمودة يا ابن ودى فأنك بى من ابن أبى أحق
أسل بالجزع دمعك إن عينى إذا استدررتها دمعا تعق
و إن شق البكاء على المعافى فلم أسألك إلا ما يشق

(١٠) الوصف

وهذا أيضا من الفنون الشعرية التى أجادها مهيار وله فيه المقطعات والقصائد والوصف مثل الغزل يتخلل كثيرا من مطولات مهيار. ومن يقرأ أوصافه يتبين له دقة خياله ورقة شعوره وقوة ملاحظته فهو إذا تناول أمراً بالوصف أحاط به من جميع نواحيه ولا يدع صغيرة ولا كبيرة منه إلا صوّرها لك أدق تصوير

والمتتبع لأوصافه يلاحظ أنه كان مولعاً بوصف كل ما يقع تحت نظره وربما كان لنشأته دخل كبير فى قدرته على الوصف فالفرس بطبيعتهم قوم خيال وموسيقى وشغف بالمظاهر الفخمة والألوان البراقة وبكل مارقت حاشيته وراق منظره ودق تركيبه ومزاجهم مثل طبيعة أرضهم التى منحتها الطبيعة بساتين نضرة وحدائق غناء مملوءة بأنواع الأزهار والرياحين والفواكه

---

(١) الظلم : ماء الأسنان

فلا عجب إذن إذا كان مهيار يصف دقائق الأشياء كالنيلوفر والرمانة والدواة والأقلام والمرآة والمكحله والميل والسمكة والدفاتر والسفن والخاتم والخيل والمناظر الخلابة . والظاهر أن الشيب أدرك مهيار قبل أوانه فأثر فى نفسه وكان لذلك صدى فى شعره

ومن أحسن ما قاله يصف الشيب قوله :

ما لسارى اللهو فى ليل الصبا ضل فى فجر برأس وضحا
ما سمعنا فى السرى من قبله بابن ليل ساءه أن يصبحا
طارق زار وما أنذرنا مرغيا بكرا ولا مستنبحا
صوحت ريحانة العيش به فمن الراعى نباتا صوحا

وقال يصف النيلوفر (نوع من الرياحين ينبت فى المياه الراكدة)

ساهرة الليل نؤوم الضحى ريانة والأرض تشكو الظما
رائحة فى السرب لم تقتنص ظباؤه إلاّ بأمر الدجى
ملتثم فوها وإن لم يكن فى شفتيها ما لها من لمى
حيـة ماء نافع سمها ونافع سم أفاعى الصفا
تعطيك منها ألسنا عدة مجتمعات كلها فى لها

(راجع الديوان ص ٨ ج ١)

وقال يصف رمانة حمراء (لغز) ٣٤٤ — ١

ما أم أولاد كثير فى العدد(١) تروى رضاعا وهى بكر لم تلد ؟
تبسم عن عذب الرضاب بارد لولا دم يصبغه قلت(٢) برد
يا حسنها مجموعة الشمل ويا أضعاف ما تحسن والشمل بدد

وقال يصف مرآة (١١٧ — ٣)

ومكنونة بين الخدور أقامها هواى ونصحى حالتين على رجل

---

(١) إشارة إلى ما بالرمانة من كثرة الحب (٢) إشارة إلى حلاوتها ولونها

قديمة عهد العمر فطمت عانسا … فان ولدت منى فتى ولدت مثلى
لهـا أخوات فى البـلاد كثيرة … ووالدها فى الدهر منقطع النسل
تقص على الحق ماحضرت معى … ولا تصدق الأخبار بعدى ولا قبلى

وقال (ملغزا) فى مكحلة وميل : (١١٧ — ٣)

وما زوجان من ذكر وأنثى … ترى الالحاظ نحوهما تميـل
إذا اقترعا على إحراز حسن … أغار على سمينهما النحيـل
وحاملة لهـا ابنا وهو بعل … يعـال بهـا لأطفال تعول
لهـا من زادها ما أطعمته … وغـيرهما لزادهما الأكول
يداوس(١) بين جنبيها علاجا … دقيقا تحتـه معنى جليـــل
اذا ما ابن عصى بنتاج أم … فأن نتاج أمهما جميـــل

وقال (ملغزا) فى الميزان

وما زائد أبدا ناقص … فطورا يقوم وطورا يميـل
إذا ضل فهم الدليل الحـكيم … هدى الناس منه دليل جهول
متى خف أوطاش أعمدته … وتحميه وهو رزين ثقيـل
له مرفقان يقيم الحـدود … على [illegible]يهما ما يقول
لحاضره صحـــة أو ضنى … وغائبـه سمج أو جميـــل

وقال يصف السماء (٣٣٢ — ٣)

دارت عليك بكأسها … فاتشـ[illegible]ـك والنـــدامى
وجلت جواريهـــا عليـــك رواقصـا غرا وسـاما
تلقى نواحلها الخما … ص سمينة المعنى جســاما
يقدمن واضحـة الجبـــين تشق غرتهـا الظـــلاما
تحيي وتقتل من رأت … أبدا وصـــالا وانصراما

(١) يداوس : يطأ برجليه

تطوى وتنشر فى البلا د فلا رحيل ولا إقامه

(١١) الفخر

لم يكن مهيار طويل النفس فى الفخر ولعل السبب فى ذلك أنه لم يكن من أشراف الفرس ولا من سراتهم كما كان أستاذه الشريف الرضى من أشراف قريش ومن سراة العلويين ولم يكن مهيار ولا أسرته من أرباب الثروة وأصحاب الأموال فقد علمت أنه كان يتكسب بالشعر وربما تلمح فى غضون كلامه أنه خامل الذكر وكثيرا ما كان يعترف بذلك ويحث نفسه على الظهور والطموح إلى العلا يدلك على ذلك قوله : (٢٣٢ — ٣)

قد كان يرتاب الغبى بفطنتى ويريبنى بالعجز فرط تلومى
ومشى إلىّ الضيم مشى تسلط وطماعة فى عفتى وتسلمى
وأصاخت الأيام بى قم تحتشم وأشارت العلياء خاطر تعظم
إن كنت تنكر يازمانى جلستى فلأنهضن لها نهوض مصمم
ولتدعونى ثائرا مستيقظا إن كنت أمس دعوتنى فى النوم
ولأنفضن من الهوينى منكبى نفض العقاب سقيط طل معتم
ولألقينك راكبا من عزمتى جرداء تفتح فى الطريق المبهم
فى كف راكبها عنان مسمح(١) فى السبق غرة وجهه لم تلطم

بل إنه يعترف فى مكان آخر بان عطايا الكرماء ومنح العظماء هى التى خلقت منه شاعرا مجيدا وجعلت له ذكرا يطير فى الآفاق وذلك حيث يقول من قصيدة طويلة (٢٤٧ — ٣) يمدح بها أبا سعيد بن عبدالرحيم

ركبت جموحا على المطامع لا يلفت رأسى مال ثرى (٢) ونمى
فرضتمونى بألسن وبأخلاق ليان أصبحن لى لجما
دربتمونى يدا بأن أقبل السر رفد وأن أمدح الرجال فما

(١) مسمح . مسرع (٢) ثرى . زاد

فسحتم فى مضيق صدرى وأفـــصحتم لسانى من طول ما انعجما
فمن جدا كم عنـــدى ونعمتكم أنى تعلمت أشكر النعما
وكلما آد (١) دينكم عنقى قضيتكم عن فروضه الكلما

فلا عجب إذن إذا وجدنا أن مفاخر مهيار تكاد تكون مقصورة على الفخر بانتسابه للفرس وعلى بيان منزلته فى الأدب وعلو كعبه فى الشعر

وقد قدمنا لك فى الكلام على مذهبه السياسى واعتناقه الأسلام مايكفى للبرهنة على أنه كان يفتخر بفارسيته و بأسلامه و نزيدك هنا مثلا آخر جمع بين الأمرين ذلك هو قوله : (٦٤ — ١)

أعجبت بى بين نادى قومها أم سعد فمضت تسأل بى
سرها ما علمت من خلقى فأرادت علمها ما حسبى
لاتخالى نسـبا يخفضنى أنا من يرضيك عند النسب
قومىَ استولوا على الدهر فتى ومشوا فوق رؤوس الحقب
عمموا بالشمس هاماتهم وبنوا أبياتهم بالشهب
وأبى كسرى على إيوانه أين فى الناس أب مثل أبى
سورة الملك القدامى وعلى شرف الأسلام لى والأدب
قد قبست المجد من خير أب وقبست الدين من خير نبى
وضممت الفخر من أطرافه سؤدد الفرس ودين العرب

وقال يفتخر بشعره (من مطولة يمدح بها أبا طالب بن أيوب ٣١٧ - ٣)

فاسمع أكايلك جـــزاء بهـا غنيمة جاءتك من مغـــرم
سيارة فى الأرض لم تغترض (٢) عنسا (٣) إلى سير ولم تحزم
نافقة فى موسم مكسد ناطقة فى زمن مفحم

---

(١) آد : أثقل (٢) أى لم تضع عليها غرضا وهو للرجل بمنزلة الحزام من السرج (٣) العنس : الناقة القوية الصلبة

تنسى الليالى وهى مذكورة ويهرم الدهر ولم تهرم
نسيبة إما إلى «هاشم» الـــقريض أو «مخزومة» تنتمى
ما ضرها — والعرب أبياتها آباؤها — منى الأب الأعجم

ومن أحسن ما قال فى هذا المعنى قوله:

إذا شئت أن تبلوا امرأ أين فضله من النقص فاسمع عنه إطراى أو جرحى
وكم ملك لو قد سمحت أريته بوجه قريضى طلعة النصر والفتح
ذا ماترامت عاليات المنى به بعيدا تمنى موضع النجم أو مدحى

ومن ذلك قوله فى قصيدته:

نعم عهدك العقد الذى لاتحله يد الغدر والحبل الذى لاتساهله
وإنك قد أحرزت منى مهندا يروق وإن رثت عليه حمائله
وعذراء من سر الفصاحة بيتها طويل العماد متعب من يطاوله
لها نسب فى الشعر كالفجر فى الدجى متى تظلم الأنساب ترفع مشاعله
ابوها شريف الفكر ـ والفخر كله إصابتها مهرا كأنت تباعله

(١٢) الهجاء

وهنا أيضا نلاحظ أن مهيار لم يكن مكثرا ولم يقذع فى القول إذا هجا وليس هناك من سبب نعرفه لذلك غير اتصاله بالشريف الرضى الذى أبت عليه عفته وكرم منزلته وعلو نفسه أن يكون بذىء اللسان متبرما بالناس

على أن حياة مهيار لم تكن حياة منافسة وعداء ولكن كانت عيشة هدوء وسكينة فنحن نعلم أنه كان فى وئام وسلام مع العظماء والأدباء من أبناء عصره فلم يكن هناك داع للمهاجاة والمفاخرة والمنافرة وإن حصل بينه وبين أحد ممدوحيه كلام فأنه لم يتجاوز حد العتاب

أما القليل من الهجاء الذى نطق به لسانه فأنه كان مقصورا على العرب والبخلاء والسفهاء من أبناء زمانه قصور مدائحه على الفرس وأولياء نعمته

والعظماء من عشيرته أما هجاؤه للعرب فقد مر عليك منه الشيء الكثير وأما هجاؤه للبخلاء فتراه كثيرا مبعثرا فى قصائده مندمجا فى مدائحـــه اندماجا فمن ذلك قوله (١٠٣ — ١)

أمـــدح المثرين ظنا بهم ربما يقمر بالظن الكذوب
كل وغد الكف منبوذ الحيا طيب المحضر مسبوب المغيب
يمنع الرفد وتلقى وفـــده قحة البخل بأدلال الوهوب
يطلب المدح لأن يفضحه وهو قبل المدح مستور العيوب
قلت للآمال فيه — كذبت أمه - إن كنت آمالى تخيبى
جلب الأرض عريض دونه وسرى العيس و إدمان اللغوب

وقوله (٨٩ - ٣)

قل للئيم يضم راحتـــه خوف سؤالى - أعفيت فاعتزل
كففتها ترهب العطاء فمـــا أحسنها لو تكف من شلل
عهدى بمال الجواد يأمنى فكيف قد خفتنى مع البخل
مالك ترتاع للسماع إذا سيل أناس وأنت لم تســـل

وهاك مثلا من هجائه لأهل زمانه (مختارات البارودى ص ٤٤٥ ج ٤)

وملثمين على النفاق بأوجه صم يصيح اللؤم من قسماتها
صبغوا الوفاء بياضه بسواده والمكرمات هبوبها بسباتها
متراهنين على الدنية أحرزوا غاياتها وتناهبوا حلباتهـا
و رثت نفوسهم خبائث أصلها لؤما وزادت دقة من ذاتهـا
أيد تجف على الربيع وألسن سرق السراب الأفك من كلماتها
خلق إذا حدثت عن أخلاقها فكأنمـا كشفت عن سوآتها

وقد ضاقت عليه الدنيا بما رحبت لمـا صده أحباؤه وعثر به حظه فقال :

صد حبيب وصـد حظ فعمن المستهام سالى
قد جمع البخل والتجنى واختلط اللؤم بالدلال

فلست أدرى أداء قلبي أضوى بجسمى أم داء حالى
بلغ زمان النفاق عنى مالك ياقاتلى ومالى
كسر على الجبر كل يوم منك وجرح على اندمال
قد هونت عندى التوالى من شرك السبق الأوالى
يا ليت حينا بسوء حظى ثم تأليت (١) لا أبالى
قل للغنى البخيل أمنا مالك بسل (٢) عن سؤالى
مثلك مارسته فاعيا يمينه الفخر فى شمالى
كنت على عفتى وصونى أشفق منه على النوال
لى من بقايا الكرام مرعى يسمن فيه عرضى وحالى

(١٣) فنون أخرى

قد ذكرنا لك أهم الفنون الشعرية التى نبغ فيها مهيار . وهناك فنون أخرى لم يطرق أبوابها كثيرا منها الحكم والقناعة والعتاب

فمن الحكم قوله (٢٥٦ - ١)

خليلك من صفا لك فى البعاد وجارك من أذمّ على الوداد
وحظك من صديقك أن تراه عدوا فى هواك لمن تعادى
ورب أخ قصى العرق فيه سلو عن أخيك من الولاد
فلا تغررك ألسنة رطاب بطائنهن أكباد صوادى
وعش إما قرين أخ وفى أمين الغيب أوعيش الوحاد
فأنى بعد تجريبى لأمر انست ولا أغشك بانفرادى

ومما قاله فى القناعة (١٣٨ - ٣)

أكرم يديك عن السؤال فأنما قدر الحياة أقل من أن تسألا
وإذا نزعت إلى أرومة مخصب زاك فصن أغصانها أن تبذلا

---

(١) تأليت : حلفت (٢) بسلٌ . حرام

ولقد أضم إلى فضل قناعتى وأبيت مشتملا به متزمـلا
وأرى الغدو على الخصاصة شارة تصف الغنى فتخالنى متمولا
وإذا امرؤ أفنى الليالى حسرة وأمانيـا أفنيتهن توكلا

ومما قاله فى العتاب (٢٩٨ - ٣)

وبعد على النوى وعلى التدانى فقد أشقيتنى بعد النعيم
وقد خلفتنى من كف دهـرى بطول الصد فى أسر لئيم
أروض الحمد فى أيد جعاد (١) وأرعى جانب العيش الذميم
تصوح مرتعى وذوت عروقى بهجر سحابك الصخب الهزيم (٢)
ولم تك قط فى سعة وضيق لتغفلنى وتشغل عن رسومى
فما بالى جفيت أما حديثى يذكرك الحقوق أما قـديمى ؟
ألست بصحبتى ووفاى أهـلا بمـــنزلة المساهم والقسيم
نطقت ولو أطقت لكان صمتى على ما اعتدت من خلقى وخيمى (٣)
بقيت لمـدحكم فابقوا لرفدى على رعى المصوح والهشيم

(١٣) موازنـــة

إذا عنّ لك أن توازن بين مهيار وبين غيره من شعراء عصره فأنك ولاشك سائل نفسك قبـــل كل شىء عن منزلة مهيار بالنسبة لأستاذه الشريف الرضى و إنك بعـد الاطلاع على أشعارهما و تفهم أغراضها ومعانيها و تعرف ألفاظها ومبانيها لن تتردد فى أن الهوة بين الشاعرين ليست بسحيقة وأن الفرق بينهما ليس بشاسع ، فالتلميذ صورة من أستاذه ولـكن صورة فقط والصورة لا يمكن أن تـكون هى والأصل متحدين من جميع الوجوه

وكيف يتسنى لأعجمى مقلد فى عربيته أن يكون مثـل عربى صميم روحه عربية ولسانه عربى شب وشاب فى أحضان لغة الـكتاب واختلط كلام الأمام على بلحمه ودمه وسرت بلاغة العرب فى عروقه

---

(١) جعاد : يابسة (٢) الهزيم : الراعد (٣) الخيم : الطبع

وكيف يتهيأ لمهيار وقد علمت عنه ما علمت وعرفت من منزلته الاجتماعية ما عرفت أن يجارى الشريف الرضى فى مضمار المفاخرة وهل يتسنى لمهيار أن يقول مثل ما قال الشريف الرضى مخاطبا القادر بالله الخليفة العباسى ؟

عطفا أمير المؤمنين فأننا فى دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبدا كلانا فى المعالى معرق
إلا الخلافة ميزتك فأننى أنا عاطل منها وأنت مطوق

وهل وصف مهيار للشيب يضارع قول الشريف الرضى فيه ؟

غالطونى عن المشيب وقالوا لا ترع إنه جلاء حسام
أيها الصبح زل ذميما فما أظـ ـلم يومى من بعد ذاك الظلام
أومضت شمسك المنيرة فودى فمن لى بظل ذاك الغمام
قلت ما أمن من على الرأس منه صارم الحد فى يد الأيام

فأذا كان مهيار قد حاكى أستاذه فى أسلوبه وطرق جميع أبواب الشعر التى طرقها فأنه قد ذهب بشعره مذهبا آخر واستخدمه لأغراض أخرى

فبينما تسمع الشريف يمدح خلفاء بنى العباس أو يفاخرهم إذا بمهيار يمدح امراء بنى بويه و يتقرب إلى رؤساء الفرس و يقول لهم :

بقيت لمدحكم فابقوا لرفدى على راع المصوح والهشيم

و إنك لتجد فوق ذلك كله فى تراكيب مهيار صعوبة وفى معانيه غموضا لا تجدهما فى شعر الشريف الرضى

ومع هذا كله نقول إن طول نفس مهيار وقدرته النادرة على ابتداع المعانى واختراع الأساليب والتصرف فى الخيال واللعب بالألفاظ ، والتفنن فى التراكيب كل هذه تجعله من فحول الشعراء

وعسى أن تتاح لى فرصة أخرى للبحث فى شعر ذلك الشاعر المجيد بحثا أكثر إسهابا والله يهدينا سواء السبيل ؟

حامد عبد القادر

حرية المرأة فى الأسلام

(كتبت خصيصا لمجلة المعرفة)

بقلم الكاتبة الذائعة الصيت

مدام دى سان بوان

رئيسة تحرير مجلة فينكس

نشرنا فى الجزء الأول من المعرفة . القسم الأول من مقال حضرة الكاتبة الفاضلة نصيرة الشرق والشرقيين مدام دى سان بوان . وقد تناولت فيه الكلام على معنى الحرية وأثرها فى الغرب وانتقال ذلك الأثر الى الشرق ، والانقلابات التى نتجت عن محاكاة الشرق وتقليده للغرب ، ومنزلة كل من الرجل والمرأة من الآخر ، وتأثر المرأة المسلمة بالمرأة الغربية ومسألة الزي و (المودة) والسفور والحجاب ، وموقف الشريعة الاسلامية من ذلك كله .

والآن ننشر القسم الثانى ، وفيه تتناول السيدة الكلام على الزواج والطلاق وتعدد الزوجات والصداق وحقوق المرأة والعمل المنوط بها ...... الخ ؟

المحرر

الزواج .

لقد حرمت المرأة المسلمة حق اختيار زوجها الذى ترتضيه ، وذلك لأنه لايسمح لهابرؤية خطيبها قبل الزواج ، ومع أن النبى (ص) لم يأمر بذلك فأن هذا أصبح عادة واجبة الاتباع . على أن العادات كثيرا ما تتغير .

لكن . هل حقيقة تختار المرأة الغربية زوجها ؟ الواقع المشاهد هو عكس هذا تماماً ، إذ اختيار الزوج أمر لا يقع إلا فى أحوال نادرة جدا ، والنادر منطقيا لا حكم له ، بل أكثر مما تقدم أن أمر الزواج يفرض على المرأة الغربية فرضا تاما ، وذلك إما بحكم العلاقات العائلية أو الثروة المادية أو المركز الاجتماعى ، أو ظروف أخرى كثيرة من هذا القبيل ، وإذن فاختيار الزوج لاحقيقة له ، وإنما هو وهم وخيال إذ يبنى على مصالح عائلية بحتة

والذين درسوا مسألة الزواج جيدا ، يرون أن الزيجات المختارة المبنية على الحب أو مايسمونه «زواج الحب» تفقد بهجتها بعد وقت قليل ، وعلى الخصوص إذا لم تراع فيها الاعتبارات الأخرى التى تثبت دعائم الزواج .

مسألة الطلاق

فى الممالك الكاثوليكية لم توجد فكرة الطلاق إلا فى هذه الأيام الأخيرة وهذا حينما اعتبر الزواج المدنى قانونيا ، لأن المذهب الكاثوليكى يعتبر الزواج رابطة مقدسة لايمكن أن تفصم عراها بأية حال .

وليس الزواج فى الأسلام مقدسا (بذلك المعنى الكاثوليكى الذى يفهمه الأفرنج من كلمة مقدس) ولهذا يقع الطلاق كثيرا ، ويكون فى معظم الحالات لصالح الرجل ، لكن يجب ألا يعزب عن بالنا أن حقوق المرأة المسلمة محافظ عليها بأقصى ما يستطاع . فقد قال الله تعالى « ياأيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم . لاتخرجوهن من بيوتهن ولايخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة . الآية » (١)

وقد راعى الأسلام وجوب الاحتفاظ بالمرأة حتى ولو كانت فاسقة . فقد فرض للأخيرة ملجأ خاصا لها فى المنزل حيث قال تعالى «واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فأن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا » (٢)

فهل توجد هذه الحقوق لغير المسلمات ؟ كلا ثم كلا .

مسألة تعدد الزوجات

يعيب البعض على الأسلام مسألة تعدد الزوجات ، ولكن الأسلام فى الحق خلو من هذا العيب ، وبرىء من تلك التهمة . فهو لم يفرض ذلك فرضا وإنما أباحه فقط ، وذلك لأن الزمن الذى كان فيه النبى (ص) كان للرجل العربى

(١) راجع سورة الطلاق آية ١ (٢) راجع سورة النساء آية ١٥

عدة زوجات غير محدودات العدد ، فجاء الأسلام مقللا منهن بتحديد عددهن فقال تعالى « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فأن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا »(١) وكذلك قال تعالى « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فأن الله كان غفورا رحيما »(٢)

وتعدد الزوجات ليس قانونيا فى البلاد الغربية . لكن هناك ما هو أشد وأنكى إذ توجد فيها صلات غير شرعية بين الرجل والمرأة ماتزال شائعة يرون ألا غضاضة فيها ، حتى أن الأخلاقيين أنفسهم لا ينكرونها بل يعتبرونها حقا للمرأة ، وقد جعل للرجل فى البلاد الأوربية أمتياز فى الزواج كالموجود فى البلاد الأسلامية ، وقد تسبب من تلك الصلات الشرعية أن أصبح الأطفال غير الشرعين يعتبرون من أبناء الأسرة

و فى الوقت الذى نجد فيه أن مبدأ تعدد الزوجات قد بدأ يتلاشى تدريجا ، نجد فى أوربا عكس ذلك تماما ، وخاصة بعد الحرب الأخيرة ، التى فنى فيها عدد كبير من الرجال ، فأصبح النساء فى كل قطر يفقن كثيرا عدد الرجال ، ونجد أن هذا المبدأ بدأ يذيع فيها ـ ولو أنه غير قانونى ـ إلا أن الناس هناك بدأوا يرونه ضرورة لازمة

ولكن الأسلام الذى هو دين الفطرة ، والذى بنى على أحسن الأسس ، وجاء ليقرر لكل فريق ما يناسبه من تعدد الزوجات بشرط القدرة والعدل فى المعاملة . أباح وسهل ذلك لتكاثر النسل ، وارتباط المجموع بالمصاهرة . مع العلم بأنه حدد ذلك بحدود لا تتعدى

الصداق

الصداق فى الغرب غيره فى الشرق . ففى الدين المحمدى قرر على الزوج

(١) راجع سورة النساء آية ٣ (٢) راجع سورة النساء آية ١٢٩

أن يدفع لزوجه مبلغا من المال لأصلاح شأنها وقضاء لوازمها وهذا مناقض جد التناقض لتلك العادة عند الغربيين . فالمرأة عندهم هى التى تدفع قيما تختلف بحسب الثروات ، وهو مايسمونه (دوطه) أى مهر . ومن تمام مهمة الزواج فى الأسلام أن يبقى للزوج فى ذمة زوجها ثلث الصداق تتقاضاه منه بموت أوطلاق أوغيرهما قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة . الآية) (١) وقال تعالى فى السورة نفسها (وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا . أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا) (٢) ولقد تسخر عظم السخرية . بل وتزدرى المرأة الغربية بالمرأه المسلمة فى هذا الموقف الذى تعتبره الأولى أنه عبارة عن مساومة بيعا وشراء ، كأن الزوج أعطاها ذلك القدر من المال لشرائها ، أو أنه استخلصها لنفسه متاعا كبقية أمتعة أثاث البيت ، وهى واهمة فى ذلك ، فليس ذلك المهر إلا معونة وحقا فرضه الشارع للزوجة كما بينا آنفا . بينما أن المرأة الغربية بدفعها (الدوطة) تعتقد أنها تشترى زوجها . إذ فى أوربا تعطى المرأة الصداق لزوجها حتى إذا طلقت صار ملكا لها . هذا إذا لم يكن الزوج سرقه قبل ذلك ؟ وهو غير مكلف بأن يوضح أوجه صرفه لزوجه . هذا إذا كان عقد الزواج عقدا شرعيا كما يحدث أحيانا . أوعقدا عرفيا

حقوق المرأة

أكثر من هذا أن للمرأة المسلمة حق امتلاك وإدارة ثروتها الخاصة بها . كما أن المحكمة تأخذ بشهادتها فى القضاء ولها الحق أيضا — إذا أمكنها — أن تشغل وظائف كثيرة لم تكن منحت للغربيات ، ولم يحصلن عليها إلا تدريجا ، منذ سنوات قليلة بخلاف المرأة الغربية فأنها تظل تحت وصاية زوجها .

---

(١) سورة النساء آية ١٩ (٢) سورة النساء آية ٢٠

فليس لها الحق فى استلام دخلها . أوفتح حساب لها فى المصارف حتى ولا يمكنها أن تودع فيها حليها بدون أخذ تصريح من زوجها . و إذا كانت أرملة . أومطلقة واحتاجت لعمل مثل هذه الأجراءات فعليها الحصول على أوراق رسمية كثيرة تثبت مركزها

هذه بعض أمثلة لحقوق المرأة الغربية التى تحسدها المرأة المسلمة المتحضرة عليها . وقد كان النساء فى أوربا قبل الحرب ، وعلى الأخص فى المدن الصغيرة قلما يخرجن منفردات من المنزل . بل كن يبقين دائما داخله وقد وضعت المرأة الغربية نصب عينيها التسلط على رب العائلة ، وهذا أقل ظهور عرفت به كيف تملى على الزوج إرادتها

المرأة والعمل

أجهدت الحرب الأفكار وتغلغلت عادات الشعب الأمريكى ـ الحديث العهد الذى ليست له تقاليد ـ فى أوربا وأثرت فيها حتى غيرت كل شىء

وبعبارة أخرى كان الفرق قبل الحرب ضئيلا بين حياة المرأة المسلمة ، والمرأة الأوربية . فكان لكل منهما مكانها الطبيعى فى المنزل ، وللمرأة المسلمة على الأخص امتيازات أكثر .

والآن فللمقارنة بينهما يجب أن نلاحظ انتشار صالات الموسيقى والسينما ، والرقص ، وغير ذلك ، ثم الملابس القصيرة الفاضحة ، وكل هذا الترف الذى لايعد من الجمال الروحى فى شىء والذى ماهو إلا مظاهر خداعة وأبهة كاذبة ، وإن كانت فى نظر بعضهن من أهم الملاذ

ولكن ماذا يستتر وراء كل ذلك ؟ إنه جشع لانهاية له للمال ، ولأطفاء شهوة الحرية والحقوق ، ولأجابة هذه الرغبة تخلص النساء من وصاية أزواجهن ، وقيدن أزواجهن بقيود أخرى كانت أثقل من الأولى وجعلن أنفسهن عبيد العمل والراتب ، وحياة الكسب والآلات ، وأصبح على الكثيرات منهن أن يخضعن لرئيس العمل ، بدل أن كن يخضعن للزوج والأب ، وأن يجبن كل رغباته حتى

لا يفقدن وظائفهن . يحدث ذلك بينما العالم لا يزال يتمشدق بمحو الرقيق ، وقد نسى أن المرأة العاملة لا تمتلك أقل نصيب من حريتها

ولأجل أن يستر الناس هذا العار بستار من المظهر الجميل أذاعوا مايسمى (شرف العمل) وكلمات أخر جوفاء ، وأين ذلك الشرف ؟ أفى العمل الأرغامى المرهق الذى يؤدى إلى المصالح المادية ؟ أف له من شرف أفأذا اضطر الأنسان للعمل فوجب عليه الخضوع لكل مايرغم على عمله ، له أن يفخر به ؟ لقد مضى الزمن الذى كانت تستعمل فيه القوى العقلية والروحية استعمالا شريفا فأن حياة الكسب لا يمكن أبدا أن تكون مثلا أعلى يتخذه النساء . بل ما هو إلا إرغام مرهق ، والمرأة المسلمة تعرف ذلك حق المعرفة

و ذلك الاندفاع من المرأة على ميدان العمل خارج المنزل ، وهو ما اضطر إليه الكثيرات منهن ، لم ينتج غير الخسارة وخلق صناعات عديمة الفائدة تساعد على ضياع المال ، ومزاحمة الرجل فى عمله ثم استحالة وجود عمل للكثيرات ولايخفى مافى ذلك من إجهاد قوى المرأة العقلية والجسدية معا . بخلافها فى منزلها فأنها كانت مقسمة للعمل بينها وبين الرجل تقسيما طبيعيا . فعليه كسب المال ، وعليها تدبير أمور المنزل . ولكنها باحتلالها مكان الرجل فى الحياة الخارجية (ولا تنس أن البوليس النسائى بدأ ينتشر) صارت مقيدة الحرية فى واجباتها نحو أطفالها ومنزلها ، ولم يكن لديها من الفراغ مايكفى لتنظيم حياتها الداخلية ، كما كانت المرأة فيما سلف تجمع حولها وقت فراغها كل أفراد الأسرة : بعضه للمسامرة والآخر للقراءة ، وجزءاً لباقى العمل حسب النظم المنزلية فى جميع الأسر كل على حسب عاداته ، ومايلائم أفراد الأسرة على حسب الميول والأهواء

وقد يعترض البعض بأنه لا يزال هناك نساء يجدن أنفسهن مقيدات بالتقاليد الماضية ، ولكن الشخصيات القوية لايمكن أن تختنق . فقد وجدت مثل هذه الطبائع فى كل العصور . ولم تشرع القوانين للشواذ ، ولكن للحالات

المطلقة . فكم ألوف من النساء العاملات لا يعـادلن امرأة واحدة نبغت فى علم أو فن . أو حصلت على بطولة ما ، وكيف يمكن أن يسرن فى العمل الآلى إلى ترقية المدارك العقلية ؟ ففى هـــذا العمل المذكور ليس الذكاء ضروريا للمرأة إلا فى حالات نادرة جدا . أليست الكتابة على الآلة الكاتبة طول النهار ، بل طول الحيـاة مكدة للذهن أكثر من الحياكة وتنظيف المنزل وهما نوعان من العمل اليدوى لا يمنعان العقل من التفكير والتخيل ؟ أوليس العمل الآلى قد أضاع التعمق فى العلم والتخصص فيه ؟

واختصارا فأن كل مايولد الجاذبية فى المرأة المسلمة المتحضرة فى هذه الأيام ، إن هو إلا مخلفات فاسدة خلفتها الحرب المـاضية للمرأة الأوربية ، فكانت من أهم الأسباب لذيوع (المودة) بين النساء ودخولهن ميدان العمل اليدوى فى المصانع الكبيرة . كما كان لها أيضا أثر غير مباشر فى انتشار الصور الفاضحة فى (السينما) مثل مناظر النساء العاريات أو القبلات المثيرة . وهل ثمة ماهو أكثر إفسادا للأخلاق وهدما لدعاماتها من تلك الفضائح الذائعـــة التى تستتر باسم الفن ؟ والنفس بطبعها لا تميل إلى الجديد فى أول الأمر كل الميل . فأذا ماتذوقته تدريجا صار فى النهاية محببا إليها

ليس الأفراط فى اللهو بذى خطورة عظيمة لأن الخطأ الواضح من الممكن أن يفكر الأنسان فى أبعاد صغار السن عنه ، ولكن ثمة ما هو أعظم خطرا ، وهو ما يستتر تحت اسم الدراسة والفن ، وبهذه المظاهر التى تحيط به وتدعو إلى احترامه ، ينتشر ويعم تدريجا بوسائل خفية كالداء المعدى الشديد الخطر

العادات الغربية والشرقية

إن التربية الغربية لا تلائم أبنـاء الشرق بحال ما ، كذلك الفنون الغربية لا توافق المزاج الشرقى مطلقا ، ومايقال عن هذين يقال عن الحياة الشرقية التى لا يمكن أن تبنى على أسس غربية

للعالم الأسلامى تقاليده وعاداته التى تلائم روحانيته العالية وعقليته الفذة

وطبائع شعوبه وأجواء أقاليمه . وإن الشعب الذى يقلد ما هو مخالف لطبيعته يفنى نفسه تمام الفناء ، ولقد يعتبر جريمة نقل بزور العقلية الغربية المركبة إلى أرض الروحانيات والعقلية الخالصة الطاهرة ، وهذا الاعتبار حق تماما ، إذ أن ذلك جريمة ضد الشرق بل ضد الأنسانية ولو أمكن للشرق أن يحمى نفسه من تلك الأباحية وهاته الفوضى الأخلاقية ، التى تنتشر فى الغرب فأنه ينقذ النوع الأنسانى كله .

وهذا ما ينبغى للمرأة المسلمة أن تتيقظ له فتغلق بابها عن كل مايأتى من العادات الأجنبية التى تأتى من الخارج ، كما يجب عليها أن تتعلم التعليم الشرقى البحت لتكون خير رفيق لزوجها ولتعرف كيف تحفظ أبناءها وبناتها من ذلك الاندفاع الأعمى الذى كان له أسوأ الأثر فى الغرب والذى كاد يقتل الشرق قتلا ولتمنعهم من أن يصيروا كما صار كثير من أبناء المصريين الذين لم يأخذوا من الغرب إلا عيوبه ، ولم يحتفظوا من الشرق إلا بنقائصه ، والذين أدى هذا الخلط بين العادات بالكثير منهم إلى الانتحار وعلى الأخص فئة الطلبة .

واجبات المرأة

أولا — أول واجب على المرأة المسلمة أن تحتفظ بقواعد دينها الحنيف وتقوى إيمانها السليم ، وتطيع شريعتها السمحاء ، ولتعلم أن إبقاءها على جزء من تقاليد قومها غير كاف البتة ، خصوصا وهى على وشك السقوط فى هاوية التقاليد الغربية ، فأذا أرادت إنقاذ نفسها فعليها بالرجوع إلى كل التقاليد الشرقية الخالصة ، ولتعلم كل العلم بأنى أقصد الكل لا البعض لأن البقاء على البعض دون البعض الآخر ليس له قيمة مطلقا

أما رأيى فيما يجب عمله لمقاومة الأباحية الغربية ، فهو ينحصر فى أن يقام صرح الأخلاق الشرقية على أسس ثابتة ودعائم قوية من تلك الشريعة السمحاء التى جاء بها النبى العربى محمد بن عبدالله (صلعم) واضحة نقية طاهرة بينة ، والتى استخرج منها كل القوانين التى تصلح لأمته وأسس لها التقاليد التى أنتجت للأسلام عظمته

وعلى النساء الشرقيات أن يدرسن علم التاريخ بتوسع . وحينئذ سيعرفن تمام المعرفة أن الشعب الذى كانت له تلك العظمة وكان له ذلك الماضى المجيد ، يجب ألا يجعل نفسه مطية لمدنيـة أخرى أقل من مدنيته ، أو يقتفى أثر حضارة فقدت مثلها الأعلى منذ آخر العصور الوسطى ، والتى بنسيانها للمبادىء القديمة صارت متميزة بتغلب روح الفردية الشريرة التى نتجت من انتشار العـــلوم التجريبية المـادية والتى أغرقت العالم فى بحار الترف المـادى ، وجعلته معولا لهدم كل قديم فيه

ويجب على المرأة المسلمة أيضا أن تدرس الفنون الاسلاميـة الحقة لاالأفرنجية الزائفة ، وإذن فلاتقيم فى دار من تلك الدور التى تبنى على طراز (المبانى الأمريكية) بل تسكن القصور الكبيرة ، أوالدور الصغيرة المقامة على الطراز الشرقى البديع . كذلك يجب ألا تؤسسها بتلك العرائس المضحكة ، أوالأدوات الغربية المستعملة ، أو تزينها بتلك الصور التى لاتوقظ فى نفس الشرقى شيئا مامن روح الفن ، بل يجب عليها أن تتخذ أثاثاتها وزخارفها ذات الشكل الشرقى الساحر التى يستبدلها الآن كثير من الناس بمثيلاتها الغربية دون تبصر ، أوتفهم للحقائق ، وإنمـا تبعا للتقليد الأعمى المرذول .

كما يجب عليها أيضا أن تحتفظ بملابسها الخاصة كامرأة شرقية وأن تحتفظ بعاداتهـا وطريقة مأكلها ، فأذا تعلمت وأرادت دراسة فن الرسم مثلا ، فلا تلتفت إلى تلك اللوحات المائية الغربية ، بل توجه همتها إلى نقش الآيات القرآنية وتسعى فى إتقانه وتعمل على اتخـاذها قبسا تهتدى بنوره ، أو تنسج السجاد وتزينه بالنقوش الاسلامية .

أليس هـــذا عملا أكثر نبلا من الكتابة على (الآلة الكاتبة) أوكتابة مراسلات الأعمـال ، أوالانزواء ساعات محدودة داخل مكتب ما ؟ أليس عملها فى البيت أشرف مقصدا وأنبل غاية ، من أى وظيفة تشغلها فى الخارج ، ولو كانت من أهم وظائف المرتبة الأولى ؟

وأخيرا فأن الأوضاع مهما كانت والقوانين مهما اختلفت فيجب ألا ننسى أن القدر السيء يوجد فى كل زمان ومكان ، وذلك لأن الأنسان ليس معصوما من الخطأ ، وكما يوجد الحظ السيء يوجد إلى جانبه السعادة التامة

والخلاصة هى أن للحرية مظاهر مختلفة والأنسان لا يكون حرا إلا عند ما يتخلص من القيود الاجتماعية التى تحيط به ولا يصير حرا إلا إذا تمتع بالسلام والهدوء

وفى ظل « الحريم » يوجد الهدوء والسلام ، والنساء المسلمات إذا شغلن فراغهن تبعا للتقاليد الأسلامية يصبحن أصحاب النفوذ فى المنزل وهذا مافقدته المرأة تقريبا فى البلاد الأوربية . و ينبغى أن يعرفن أن فوق القوى المادية توجد قوى أخرى نبيلة عالية تتسلط على المادة وتسمو على كل ماهو مادى ، تلك هى روح الحقائق الباطنية

فهل لنساء الأسلام أن يكن حائثات على القوى العلوية وهل لهن أن يعرفن أنه لا يمكنهن أن يجدن الحرية إلا فى الكائن الباطنى ؟

هذا رأيى أجملته لمجلة المعرفة التى أرجو لها كل نجاح وفلاح ؟

ف . دى سان پوان

(المعرفة) تتقدم الى حضرة السيدة الفاضلة (مدام دى سان پوان) صاحبة البحث بجزيل الشكران على عظيم عنايتها بطرق هذه الموضوعات الحية ، وتوفيتها لها بحثا وتنقيبا ، وغيرتها على الشرق ونسائه ، ونسجل لها بمداد الفخر والأعجاب آيات الثناء وخالص المدح

ولا عجب فى هذا ، اذا علمنا أن حضرة الكاتبة المذكورة هى حفيدة (لامرتين) شاعر فرنسا العظيم الذى تذكره الأمة الفرنسية بوافر التجلة والاحترام بل العالم أجمع يقرر فضله ونبله ولا ينساه ؟

وادى الفرات

أو دير الزور

لحضرة العلامة العراقى

الشيخ محمد سعيد العرفى

كم كنا أثناء تجاذب أحاديث الوداد مع الأخوان ، نراهم لا يدرون عن هذه البلاد شيئا إلا كما يدرون عن الربع الخراب أو نحو ذلك ، حتى إذا كان مساء الخميس ١٩ ذى الحجة سنة ١٣٤٩ ، جمعتنى دار العروبة على شاطىء النيل ، مع العلامة الأكبر ، والجهبذ الجليل ، السيد محمد زبارة الحسنى الصنعانى ، أمير القصر السعيد ، لدى حكومة اليمن الأسلامية العربيـة ، ومع حضرة الأديب الألمعى ، الأستاذ عبد العزيز الأسلامبولى ، صاحب مجلة «المعرفة» فكان شجون الحديث ، موصلا إلى دير الزور ، وهنا تناول الكلام العلامة البحاثة ، والمؤرخ الكبير ، سعادة أحمد زكى باشا ، وكلفنى بأن أذكر شيئا عن هذه البلاد التى يتكلم عنها الأفرنج أكثر من العرب . وأبناؤها يعقونها بعدم التعريف بها وبعدم تدوين شئونها وحوادثها التاريخية ، وأمر بأحضار كتاب إفرنسى طبع سنة ١٨٩٥ إفرنجية تكلم عن متصرفية دير الزور ، بصورة فيها كثير من الصواب ولكن غالب أبحاثه يظهر لى أنها منقولة ، عن تقارير الحكومة ، التى لم تكن حينذاك تنشر الواقع ، عن بلاد عربية محضة ، ولذلك يحصل فيها بعض اختلاف فى الحقيقة ، ولاسيما أن الكاتب غريب عن البلاد

على أنه يشكر على اهتمامه وتدوينه أحوال بلاد عربية أهملها العرب أنفسهم غير أن هذا كان داعيا لى أن أحرر على صفحات (المعرفة القيمة) لأبناء وادى النيل بعض معلوماتى عن وادى الفرات لما بينهما من العلاقة فى الدين واللغة ، وكثير من العادات مع تشابه فى تربة الأرض والخصوبة ، وعذوبة المياه وكثرتها

متصرفية دير الزور

بلاد كثيرة، وقطر واسع، وأراضى خصبة. أنهارها عديدة، ماؤها عذب وسماؤها صافية، وهواؤها لطيف، وأراضيها منبتة. تقع بين بغداد والموصل، وديار بكر «آمد» وحلب ودمشق ونجد، ويخترقها نهر الفرات، ولذا أطلق عليها وادى الفرات أيضا، وقد كتبت فيها قديما التواريخ العديدة، فأن الحافظ أبا عروبة الحسين بن محمد بن أبى معشر موروود الحرانى من رجال القرن الثالث ألف تاريخا فى الجزيرة، وتاريخا آخر فى الرقة خاصة، ولتلميذه الحافظ أبى الحسن على بن الحسن بن علان الحرانى تاريخ فى الجزيرة، وفى حران، ولأبى على محمد ابن سعيد بن عبد الرحمن القشيرى فى تاريخ الرقة، وللفافقى سعيد بن سليمان تاريخ فى البيرة — المشهورة الآن فى بيره جك — ولحماد بن هبة الله بن حماد ابن الفضل الحرانى تاريخ فى حران كمله أبو المحاسن بن سلامة الحرانى وغير ذلك من الكتب الكثيرة كما فى الأعلان بالتوبيخ للحافظ السخاوى وفى كشف الظنون وغيرهما. بل إن من درس كتب التراجم يجد أن الجزيرة ووادى الفرات كانا قبلة لطلاب العلم، ولا سيما علم السنة، فقد امتاز أهلها به حتى أن معظم مشايخ الأئمة والحفاظ، وأصحاب الصحاح والسنن من تلك البلاد. ومثل ذلك علم التاريخ فأنهم أول من كتب فى تاريخ الأقطار والبلدان. ثم تبعهم الناس. فجمع الحافظ الخطيب البغدادى تاريخ بغداد، وبعده الحافظ بن عساكر فى تاريخ دمشق، وألف غيرهما على هذا النمط من علماء المدن الأخرى.

هذه المتصرفية اليوم قد كان لها قبل الاسلام وبعده من العظمة ما زال بعض آثارها الموجودة شاهدة على أنها بلغت من المجد والسؤدد مقاما عظيما

غير أن ما أصابها بعد وقعة هلاكو ثم تيمورلنك صيرها أشبه بالبادية رغما عن خصوبتها وما يتخللها من نهر الفرات العظيم ونهر الخابور وفروعه ونهر البليخ وغيرها من الأنهار الصغيرة والعيون الكثيرة. ومع هذا فأنها مازال أمرها مجهولا لايدرى عنها أحد شيئا إلا النزر التافه مما نشر بعد استيلاء الدولة

العثمانية عليها سنة ١٢٨٠ هجرية . وقد كنت جمعت لها تاريخا حافلا شاء الله أن يضيع باعتقالى و إخراجى من البلاد

تسمية دير الزور

وهى كما قدمنا تشمل الجزيرة — أو بين النهرين — الفرات والدجـلة — ووادى الفرات وجهته الجنوبية سميت باسم عاصمة البلاد «دير الزور» وهى واقعة على ربوة فى وسط الفرات لأنه عند درجة ٣٩ طولا . و ٣٥٥٥ عرضا يؤلف الفرات جزيرتين : الشمالية ، وتسمى «الحويقة» ، والجنوبية هى دير الزور الأصلية ، ولـكن هذه قد انقطع النهر عنها ، وأصبح الآن جادة تدعى «شارع النهر» تقع فى وسط المدينة

وأما الحويقة فقـد كانت بساتين المدينة ، ولا يوصل إليها إلا بجسر كان مصنوعا من الخشب ، فلما أخذته الفرات عنـــد فيضانها العظيم سنة ١٣٠٥ بنى بالـكلس والحصى ، ولا زال على حاله ، وقد أصبحت محلا للسكنى ، وجزءا من مدينة دير الزور يشتمل على القصور والدور الـكثيرة

وأما طرق الأيصال من الحويقة إلى الجزيرة الـكبرى فقد كان بواسطة السفينة إلى سنة ١٣٢٩ هجرية فبنت الحـكومة جسرا أطرافه دعامات من حجر الكلس ، ووسطه سلسلة سفائن ، مازال إلى سنة ١٣٤٦ هجرية . فهدمه الأفرنسيون لأجل عمله من جديد على يد شركة إفرنسية

وتسميتها دير الزور مركبة من كلمتى : دير و زور . أما دير فأقدم من أشار إليه أبو بكر الخلال شيخ مذهب الأمام أحمد بن حنـبل المتوفى سنة ٣١١ هجرية فأنه قال فى رسالته «الحث على التجارة والصناعة والأنكار على من يدعى التوكل فى ترك العمل» : إن الأمام أحمد أمر عبد الملك الميمونى بالأقامة فى ضيعته التى تبعد عن الرقة أياما وعن رأس العين مثلها ، وفيها دير معتزل وبقربه مدينـة ، وتعريفه هذا ينطبق على دير الزور ، وأما الزور فأصله زورة — بفتح الزاى — بمعني الموضع المخصوص بالازورار لـكثرة تعاريج الفرات ، وهي المسماة بزورة

ابن أبى أوفى كما قاله ياقوت الحموى فى معجم البلدان وأنها تقع بين الشام والكوفة والزورة فى الجزيرة كالزوراء فى «بغداد» فى سواد العراق، وأما الآن فأنها ينطق بها فى حركة ممالة بين الفتحة والضمة. فيقال «زور» وهو فى عرف العامة يطلق على الغابة الملتفة الكثيرة الأشجار كزور شمّر، وزبور البوحمد، وزور الغانم، وغير ذلك، و كثير من الناس يظن أنها تركية لأن الزور فى اللغة التركية بمعنى الصعب، ولكن هذا الاسم يطلق عليها قبل أن يحكمها الأتراك بمئات السنين

وقد كان فيها كثير من قبائل لا زالت معروفة. قد عرفت بأنشاد الشعر وحفظه وإيراثه لأبنائهم، ولذلك يطلق بعض الناس عليها دير الشعار «جمع شاعر»

ومن نظر إلى بنايات دير الزور الموجودة يظن أنها لا تزيد على خمسة قرون ولعلها بنيت على أنقاض مدينة قبلها، ويستدل على ذلك أن الحكومة العثمانية قبل انسحابها من تلك البلاد بسنة واحدة أى سنة ١٣٣٦ هـ أرادت عمل ساعة كبيرة فى وسط المدينة القديمة وعلى عمق خمسة أذرع وجدوا تنوارا وبنايات وآثارا تدل على أنها كانت مسكونة

ولكن رغما عن أن هذه المدينة كانت عاصمة البلاد، وبها سميت المتصرفية فأنها لم تشتهر مثل بعض مدنها الصغيرة، ومواقعها الأخرى كالرقة ورحبة مالك ابن طوق وقرقيسية ورأس العين وبالس وضعين وغير ذلك

وسأشير إلى بعض الوقائع تاركا تعليلها فى مثل هذه العجالة لحضرة القارىء فأذا ما قارنها بغيرها من الأقطار، تظهر له سلامة فطرة القاطنين بها ودماثة أخلاقهم، وجودة تفكيرهم وحسن طباعهم. وسنقدم فى (الأجزاء) الآتية ذكرى الدول التى تعاقبت فى الحكم عليها بصورة مجملة موجزة ؟ محمد سعيد العرفى

(المعرفة) تشكر حضرة الأستاذ الفاضل العلامة العراقى المشهور الشيخ محمد سعيد العرفى — على تفضله بهذا البحث القيم ونعتذر لفضيلته عن تأخرنا فى نشره، فقد كنا نبحث عن بعض الصور (الفوتوغرافية) التى توضح لنا شكل المتصرفية ولكنها لم تصلنا حتى الآن ؟

الكتابة الخطية العربية

للأستاذ حسن عبد الجواد

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم « اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الأنسان مالم يعلم . »

ويقول إمام أهل الأدب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ « ولولا الحكم المحفوظة والكتب المدونة لبطل أكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر . . . (١)

ويقول القلقشندى (يروى أن سليمان عليه السلام سأل عفريتا عن الكلام فقال ريح لا يبقى ! قال فما قيده ؟ قال الكتابة) (٢)

وجاء الشىء الكثير ، غير هذا ، عن فضل الكتابة ، فى القرآن الكريم وفى أقوال الحكماء والأدباء (٣)

والكتابة الخطية التى نكتب عنها هنا غير الكتابة الأنشائية والفرق أن الأولى هى النقوش المسماة بالخط والثانية هى إنشاء الكتب والرسائل (٤)

ويقول القلقشندى فى ذلك (فأذا أردت أيقافك أحدا على ما فى ذهنك من المعانى تكلمت بألفاظ وضعت لها ، وإذا أردت تأدية ألفاظ لذلك الأيقاف إلى أحد بغير شفاه نقشت النقوش الموضوعة لتلك الألفاظ ، فيطالع تلك النقوش الموضوعة لتلك الألفاظ ومن الألفاظ تلك المعانى) وهو يقصد

---

(١) المحاسن والأضداد ص ٣ (٢) صبح الأعشى ج ٣ طبعة سنة ١٣٣٢هـ ص ٥ (٣) راجع أدب الكتاب لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى ص ٢١ — ٢٨ وصبح الأعشى ج ٣ ص ٥ و ٦ و ٧ ، وكتاب المحاسن والأضداد ص ٣ و ٤ و ٥

(٤) الوسيط ص ٣٤ و ٣٧ الطبعة السادسة

من النقوش التى وضعت للألفاظ والتى منها يطالع المعنى مانسميه الكتابة الخطية (١)

وقد اختلف الرواة اختلافا كبيرا فى أول من وضع الخطوط . كما اختلفوا فى أول ماوضع من تلك الخطوط . ولبيان النقطة الأولى ندلى بالآراء التى قيلت بصددها : —

(١) . يقول هاشم الكلبي وضعها قوم من العرب العاربة هم أبو جاد وهواز وكلمون . . الخ ولذلك وضعوها على أسمائهم وسموا ماخرج عنها الروادف (٢)

(٢) . وقال آخرون إن آدم عليه السلام هو الذى وضع الخطوط قبل موته بثلاثمائة سنة (٣) وفسر هذا القول صاحب صبح الأعشى بأن آدم عليه السلام كتب الكتب فى طين وطبخه فلما أظل الأرض الغرق أصاب كل قوم كتابهم (صبح الأعشى ص ١٠ ج ٣)

(٣) . وقال ابن عباس أول من كتب بالعربية ثلاثة رجال سكنوا الأنبار ينتسبون إلى قبيلة بولان وهم مرامر وأسلم وعامر إذ وضع الأول الصور والثانى وصل وفصل والثالث وضع الأعجام (٤)

(٤) . وقيل إن واضعها هو إدريس عليه السلام

(٥) . وقيل إن آدم لم يضعها وإنما أنزلت عليه (وهذا وجيه) ولعل الذين قالوا به قد نقلوه عن أبى ذر الغفارى إذ قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله كل نبى مرسل بم يرسل ؟ — قال بكتاب منزل — قلت يارسول الله أى كتاب أنزل على آدم ؟ — قال ا ب ت ث ج إلى آخره (٥)

وقال بعضهم إنها أنزلت على هود عليه السلام ويقول صاحب صبح

---

(١) صبح الأعشى ص ٩ ج ٣ طبعة دار الكتب سنة ١٣٣٢ هجرية

(٢) البلاغ المصرى عدد ٥٥ فى ٢ سبتمبر سنة ١٩١٠ (٣) المرجع السابق (٤) البلاغ المصرى فى مقال (أديب) وأصل ذلك فى صبح الأعشى ص ١٢ (٥) راجع شرح صاحب الوسيط أذ بينا كيف ترجع لغات العالم الى أمهات أصلية تولدت وتتولد

الأعشى ص ١٢ إنه لاتباين بين القولين لجواز أن تنزل على آدم مرة وعلى هود أخرى واستدل على صحة ذلك بأن بعض الآيات كان ينزل على نبي ثم ينزل على نبي آخر وبعض الآيات كان ينزل مرتين على نبي واحد

(٦) . وقال ابن إسحق والذى يقارب الحق وتكاد النفوس تقبله هو أن العربية لغة حمير وطسم وجديس وأرم وجويل وهم العرب العاربة أخوال ولد إسماعيل عليه السلام وذلك أنه عليه السلام لما نشأ فى الحرم وبلغ أشده تزوج منهم وتعلم كلامهم ولحق به أولاده فوضعوا الأسماء للمسميات بحسب حدوثها فاتسع الكلام وانفردت كل قبيلة بلغة مع الاشتراك فى الأصل » (١)

وأدلى كثير غير هؤلاء بآرائهم وهى كثيرة لا حصر لها . وليس من الميسور الرجوع إلى أى رأى من تلك الآراء أوالتى أوردناها — لا على سبيل الحصر ليكون هو المعتبر . و يكفى القول بأن الآراء تشعبت فى تلك المسألة تشعبا ماعهدناه فى أى مسألة أخرى خلافية

هذا هو الخلاف الذى دب فى أول من وضع الخطوط وقد قام خلاف آخر فى أول ماوضع منها ولكنا لانراه متشعبا تشعبه فى المسألة الأولى إذ استقر البحث إلى حصر الموضوع فى رأيين : —

أولها : أدلى به الأفرنج وثانيهما : أدلى به رواة العرب

وكلاهما متفق على أن أول حلقة من سلسلة الخط العربى هى الخط المصرى القديم وأن الخط الفينيقى مشتق منه وأن هذا مشتق منه الخطان المسند والآرامى .

عنها وأن كل واحدة من هذه الأمهات هى المنشأ الأول لفروعها وأنها تنشأ من جدة عليا مجهولة هى لغة الأنسان الأول وهى الكلمات القليلة التى كان يعبر بها الأنسان عن رغائبه القليلة وبعضها مقتبس من محاكاة الأصوات وبعضها مرتجل بطبيعة القوة الناطقة التى أودعها الله الأنسان وميزه بها من سائر الحيوان . . . الى آخر البحث — هامش رقم ٤ ص ٣ و ٤ من كتاب الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه

(١) البلاغ المصرى عدد ٢٨ شعبان سنة ١٣٢٨ هجرية

أما نقطة الخلاف فهى أن الأفرنج يفرعون الخطوط بعد ذلك من الآرامى ، ورواة العرب يفرعونها من المسند (١)

ولولا ضيق المقام لذكرت شيئا كثيرا عن الخلاف القائم حول تلك النقطة

ونختم الكلمة بأن الخلاف الذى يقوم بين اللغات فى البداءة بالكتابة مرجعه اختلاف المقصد عند أهل كل لغة فالعرب كتبوا من اليمين إلى اليسار جريا على سير الفلك من المشرق إلى المغرب وكما قضت الطبيعة أن يزاول الأنسان عمله باليد اليمنى ، وقيل جريا على حركة الكبد إلى القلب . والذين كتبوا من اليسار جروا على سير الكواكب السبعة السيارة من المغرب إلى المشرق ، وقيل جريا على حركة القلب إلى الكبد (عكس الحالة الأولى) . والذين بدأوا من أعلى إلى أسفل (كالصين) قصدوا أن الله فى السماء وأن كل شىء يأتى من جهته سبحانه وتعالى (٢)

وإذا كانت الحروف العربية تسعة وعشرين حرفا فأن صورها ـ بصرف النظر عن النقط ـ ليست كذلك . بل هى تسع عشرة صورة فقط . وذلك لأن بعضها يشترك فى الصورة مع البعض فالباء مثلها التاء والثاء فى الصورة وكذا الجيم مثلها الحاء والخاء وهلم جرا

وذلك أولى من اعتبار كل حرف صورة . وهم يرجعون تلك الصور إلى خمس فقط وهى الألف والجيم والراء والنون والميم (٣)

وأرجو أن أوفق فى بحث آخر إلى تناول أثر الأسلام فى ارتقاء الخط العربى وانتشاره سواء أكان ذلك فى شبه جزيرة العرب أم فى غيرها والله يهدينا إلى ما فيه الصواب ؟

حسن عبد الجواد

---

(١) راجع ذلك فى الوسيط طبعة سنة ٩٢٧ ص ٣٤ و ٣٥ للأستاذين الفاضلين الشيخ أحمد الأسكندرى والشيخ مصطفى عنانى (٢) راجع انتشار الخط العربى للأستاذ الفاضل عبد الفتاح عبادة ص ٣٠ والمراجع التى أشار إليها فيه (الكتابة والكتب وصبح الأعشى ص ٢١ ج ٣) (٣) مرجعه صبح الأعشى ص ٢٤ — راجع بحثا شيقا للأستاذ بخيت صليبى فى مقتطف فبراير سنة ٩٢١ عن الحروف من حيث الصوت والحركات .. الخ الخ

قصة مصرية

البـــــــــدوية

بقلم الأديب محمد افندى السيد

جلست وصديقى (ع) تحت الشجرة نتحادث . وصديقى (ع) فتى حلو الحديث دقيق التعبير رقيق الشعور — ولقد تحس وهو يتحدث إليك كأنك تشرف على ملعب تمثل فيه الحوادث التى يقصها

أطرق صديقى إطراقة . . . ثم قال آه ! سنوات خمس ياعزيزى منذافترقنا للمرة الأخيرة . . . . ثم استطرد فقال : ولطالما ذكرتك وذكرت هذه الشجرة وهذا المكان بما يذكر محب حبيبا غاب عنه و بقيت لديه ذكراه ماثلة لا تفارقه لحظة . . . . . . على أن هناك ياعزيزى . . . نعم هناك فى الريف حياة أخرى حياة دعة وسكون ، حياة تشبه حياة الملائكة من بعض نواحيها

فى الريف . . . لا تشهد اعتصار العالم تحت عجلة التكاليف الثقيلة ولكن ثم أنواع من السذاجة والبساطة فى كل شىء . فقلت ولكن خبرنى ياعزيزى ألا تزال عند رأيك الأول من أن العفاف لدى المرأة حال ضرورة فقط قد تلتزمها بعض الأحيان لظروف خاصة ؟

قال صاحبي نعم لقد كان هـذا رأيى ، وكان رأيك أيضا وأنت تدرك كيف أننـا قررنا هذا الرأى تحت ضغط شديد من تيار مدنية هذا العصر حيث جرفها سيلها ـ فأدلت إلى الرذيله بدلوها وتورطنا فيما يتورط فيـه الشباب عادة من حمأة الفساد وجنون الشهوة

إن الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أى مفسده

قلت ذلك حق أى حق . ولكن أليست المرأة هى المرأة هنا وهناك ، وفى كل عصر من عصور التاريخ ؟

قال بلى ! إن المرأة هى المرأة منذ هبط آدم وحواء إلى هذا العالم . على أن النظر قد يختلف فى تكييف الوقائع وتقرير التاريخ . ومن ثم تدرك اختلاف الناس فى تقرير مصائر الأمور . وهـذا عندى هو السر فى أن تختلف مذاهب الناس فى فهم شىء واحد . ولقد علمت بالاستقراء وبالتجربه العملية ، أن الطهر والعفاف وما إلى ذلك من ألوان الفضيلة قد تكون عند المرأة حقائق ثابتة لا مجرد خيال أو وهم . وأنت تدرك من القصة الآتية كيف يكون ذلك :

منذ فبراير سنة ١٩٢٣ صدر أمر الحكومة بنقلى للأقاليم ، فما كان أشد وقع هذا النبأ المؤلم على نفسى الضعيفة المنهوكة . حقا لقد كان أسوأ الأنباء . وأقتلها ، تعرف ذلك جيدا . وتعرف سره ، أليس كذلك ؟

قلت بلى أعرف هذا ولا أنساه .

قال : ولقد سافرت لمركزى الجديد بعد مطل وتسويف . ولشد ما أظلمت الدنيا فى وجهى وضاقت علىّ الأرض بما رحبت ، فلا ملهى ولا ملعب ولا مايؤمه الناس فى المدينة عادة لقصد السلوى وقتل الوقت

وعمال الحكومة فى القرى إليهم أعناق الناس مشرئبة ترمقهم أنظار الخاص والعام وإذا شئت أن تعرف أكثر من ذلك فهم ضمن نطاق من أعين الجميع ، إذ الكل عليهم رقباء . بل الكل ألسنة نقد حداد !

ومن شاء منهم أن يحتفظ بما لمركزه من هيبة ووقار فعليه أن يكون ناسكا ليس غير

تحت تأثير هذه العوامل أجمع ، أكرهت على أن أغير مجرى الأمور فى جميع أسباب معيشتى من كل الوجوه ، ولقد بدا لى الوقت طويلا ثقيلا ، فكيف أقطعه ؟ أأقتل الزمن كما يقتله إخوانى من الذهاب للعمل ثم العـودة للمنزل وتناول الطعام والذهاب لمشرب القهوة وإضاعة الوقت فى التحدث إلى الأخوان وفى لعب النرد أوالورق أوالشطرنج الخ الخ . . . . ؟

لا ، إنى لا أميل إلى شىء من ذلك

إذن ماذا أدبر لنفسى ؟

أحب الخيل من كل قلبي . . . .

ابتعت مهرا لم يشارف بعد ربيعه الرابع ، له محاسن الخيل مجتمعة ، وفيه ظرف ودلال و (فنزحة) . ولو أن الله اقتضت إرادته أن يبعث امرأ القيس مرة أخرى ، لأسمعنا فيه خيرا من قوله :

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل
مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

وبهذه الوسيلة وجدت سلواى ، ولشد ما استحالت كل مشاعرى و إحساساتى إلى أمر واحد هو تذليل هذا المهر والعناية بجميع شؤونه حتى ما كنت أترك لخادمى أمر خدمته وحده ، بل كنت أتولاها معه وكثيرا ما قمت بها بنفسى .

ولقد مللت الجرى فى الطريق المعبدة ومسابقة القطار (القادم من المنصورة) فلطالما سبقت القطار . ولطالما أدركت القطار ! ! ! !

ولست أعرف كيف أصف لك ما كان يشملنى من سرور . ويعرونى من نشوة وطرب . حتى لقد ازددت كلفا به إلى درجة مقلقة فنسيت كل شىء إلا هو

وقبيل الغروب فى ذات يوم سلكت طريقا جديدة . ثم واصلت السير فى طريق أخرى غير معبدة حتى وصلت إلى التل . ولعل ذلك التل بقايا مدينة قديمة أدركها الفناء منذ أجيال عديدة .

وفى سفح التل من الشمال كان قطيع من الضأن يرعى الأعشاب بل الأشواك المبعثرة هنا وهنالك . إذاً فليكن مسيرى فى غير اتجاه هذا (الجيش) حتى لا يعكر علىّ صفاء نزهتى ، فبدأت أسير الهوينا فى وسط التل تماما من الشمال إلى الجنوب وما عتمت حتى رأيت جموع الضأن وما يتبعها عادة من حمر وكلاب وبنات حوّاء قد بدأت تتدفق من الشمال إلى الجنوب وبسرعة البرق أدركتنى ثم أخذت على طريقى فعلا وكانت طريقا صعبة ملأى بقطع من الأحجار الصغيرة المبعثرة فى جميع أنحاء التل .

ولقد تولانى الذهول حين رأيت تلك البدوية فى ثيابها الفضفاضة وإزارها العريض ، وخفها المكشوف ، تتقدم القطيع تحدوه وتناديه بألفاظ عربية بلهجة غير مفهومة وغير واضحة .

بدا لى أن أداعب (البدوية) هذه التى اضطرتنى إلى الوقوف على الجبل والاهتمام بما عساها تريد من هذه الحركة الحربية ؟ !!

ماذا يستثير اهتمام الجلف من أهل البداوة ؟ لاريب فى أنها ساذجة إذا بدأتها بالكلام قد تسيء إلىّ : إذن فلتتكلم هى :

تركتها وشأنها تعانى جمع الضأن حول نقطة الارتكاز حول الصخرة . الصخرة الوثنية ذات النقوش القديمة . ثم لويت عنان مهرى فدار حول الصخرة مرات وما كدت أفرغ حتى بدت عليها علائم الدهشة ودنت منى وتكلمت فلم أجاوب فاقتربت وتكلمت وأجبت

ولشد ما أدهشنى واستثار كوامن نفسى وهز عواطفى مابدا فى حديث هذه البدوية من رخامة صوت ، ولين حركات . فى دقة تعبير ، وصدق ملاحظة ، وظللت هكذا مبهوتا بل متبدلها . وكنت فيما مضى أعشق لونا من الأوانس وكان جلة أصدقائى يعيبون على مذهبى هذا كأن الله قد خلق الناس جميعا من طبيعة واحدة .

وكأن ليس ثمت فارق بين أهوية أهل الأرض وأمزجتهم وكأن يجب عليهم أن يكونوا من صعيد واحد فى التفكير وفى النظر إلى أوجه العالم المختلفة وحتى فى العاطفة وفى الحب أيضا .

كأن هذه السيقان السمراء الدقيقة : وهذا الوجه النحاسى وهذه العيون النجل ذوات الحدقات الواسعة البراقة ، وهذا الجرم الدقيق ، والأديم الرقيق لاتستحق إعجاب المعجبين ولا عشق العاشقين ؟ لست أكتمك : لقد فتنت لمجرد النظرات الأولى وذلك الحديث المشجى

إذن نتحادث و إذن يطول الحديث . فالموقف دقيق فيه حلاوة الواقع ومرارة المانع

أخذت أستشير ماسبق من الحوادث . لعلى أوفق لاقتناص هذه العصفورة . وكنت كلما تقـدمت إلى الأمام خطوة زحزحتنى للخلف خطوات . وفى اللحظة الأخيرة . وقد يئست ، إذابصاحبتى تنهزم . و إذن انتهينا ووقعت « المصارى(١) » فعلا .

أشارت إلىّ بالانحدار إلى بطن الوادى شرقا حيث أجد مكانا صالحا للقيانا .

لم أشك لحظة منذ تهيأت أسباب الظفر فى صدق صاحبتى فأخذت طريقى إلى الشرق واتجهت هى نحو الغرب . ومع أننا سرنا فى اتجاهين متضادين فأنى لم أدرك تماما ما دبر لى إلا حين انتهيت إلى آخر التـل شرقا وانتهت هى إلى نهايته غربا ثم أخذت طريقها للقرية المجاورة واختفت مع قرص الشمس الحائل تحت الأفق : الأفق البعيد : الآن وقد هجم الظلام وأوحش المكان فلاسبيل للبقاء ، يممت نحو المدينة وأطلقت لمهرى العنان وعدت أدراجى

قلت ألم تعد لهذا المكان مرة أخرى ؟

قال بلى عدت مرارا . . . .

وهل رأيت صاحبتك ؟

نعم رأيتها

وماذا قالت ؟

لم تقل شيئا وإنما ضحكت ضحكة الأشفاق والسخرية .

محمد السيد

---

(١) النقود . كما يعبر بذلك أهل الشام والبادية أيضا

باب النقد والتقريظ

تاريخ الحركة القوميـــة

وتطور نظام الحكم فى مصر

(صدر فى ثلاثة أجزاء من القطع المتوسط وعدد صفحاته ١٥٧٧)

للأستاذ عبد الرحمن بك الرافعى المحامى بالمنصورة فضل لا ينسى على الحركة الوطنية المصرية من أيام المرحوم مصطفى باشا كامل إلى الآن. فهو — كما يعلم الجميع — علم من أعلام هذه النهضة الوطنية، وقلم من أقلامها المشهورة، وصوت من أصواتها العالية، وأستاذ من أساتذتها المعدودين، طالما كتب وخطب وتعب وضحى براحته فى سبيل إعلاء كلمة هذا الوطن العزيز، وكان آخر عهدنا به فى ذلك، مواقفه المشهورة فى مجلس النواب دفاعا عن حقوق البلاد

ولقد خيل إلينا، فيما بعد، أنه قــد أثر فى نفسه مالاقى من أعاصير السياسة، ومن لجيعته بفقد شقيقه المجاهد الصادق المرحوم أمين بك الرافعى، فأدى به ذلك إلى الانقباض واعتزال الخدمة العامة. غير أنه قد ظهر لنا بعد ذلك أنه لم يزل على بره المعهود بأمته ووطنه، إذ رأيناه قد اختط لخدمتها خطة أخرى، واتخذ لجهوده الوطنية ميدانا آخر. فأذا به يخرج لنا ثلاثة مجلدات قيمة فى «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر» فيسد بها أكبر ثغرة فى تاريخ مصر الحديث

ولأجل أن يلم القراء بمحتويات هذا السفر الجليل نقتبس لهم بعض ماساقه الأستاذ الرافعى فى مقدمة الجزء الأول منه إذ قال:

«أول دور من أدوار الحركة القومية المصرية هو عصر المقاومة الأهلية التى اعترضت الحملة الفرنسية فى مصر. فأن هذه المقاومة كانت أول شرارة أشعلت جذوة الروح القومية فى نفوس المصريين»

وقال عن الحركة العرابيـة «إن أسبابها ومقدماتها ترجع إلى حركة الاستياء من نظام الحكم القديم، وإلى الحركة الفكرية والسياسية التى ظهرت على عهد اسماعيل

وقال : ان مصطفى كامل مثل دورا من أدوار الحركة القومية سبقته أدوار وتلته أخرى . وهى سلسلة متصلة الحلقات من جهاد الأجيال المتعاقبة لتحقيق آمال مصر وادراك مطمحها الأسمى

فالحركة القومية يرجع ظهورها إلى مائة وثلاثين سنة ، من ذلك الحين ولدت وظهرت ثم أخذت فى النمو والتطور شأن الكائن الحى ، وتعاقبت عليها الأدوار المختلفة فحينا كانت تقوى وآونة تضعف وطورا تشتد وتنشط وتارة تخمد وتفتر

على أنها طوال هذه السنين سائرة فى الجملة ، الى الأمام ، ولئن أصابتها أطوار تراجع من ضعف أوفتنة فأنها لاتلبث أن تعود الى النشاط والتقدم مجددة قواها التجاريب ، طامحة الى المثل الأعلى

وقد ذكر الأستاذ فى هذا الكتاب الجهود التى بذلتها الأمة فى سبيل تحرير مصر من النير الأجنبى وفك قيود الاستبداد عنها وتقرير حقوق الشعب السياسية ، والجهود التى بذلتها والآلام التى احتملتها فى سبيل تكوين مصر الحرة المستقلة

كما أتى على ذكر الحوادث التى ارتبطت بهذه الجهود أووقعت خلالها وناصرتها أو عرقلتها ، والأدوار التى تطورت اليها الحركة القومية من بدء ظهورها الى اليوم ، ونظم الحكم التى تعاقبت على البلاد فى خلال تلك الأدوار ومبلغ أثرها فى تطور الحركة القومية المصرية

هذه المسامة قدمناها لقراء (المعرفة) ليعلموا منها مبلغ مابذله حضرة المؤلف الفاضل من جهود عظيمة فى سبيل اخراج هذا السفر الجليل وانا لنترك تقدير هذه الخدمة العظيمة للعلم والتاريخ لأدراك القراء السامى ، راجين أن نعود الى ذلك فيما بعد بالتفصيل .

حديقة الحيوان

بقلم الأستاذ محمد افندى إسماعيل

طبع بدار الطباعة . الأهلية صفحاته ٧٣ من القطع الصغير

أهدى إلينا هذا الكتاب فتصفحناه ، فألفيناه ميدانا فسيح الأرجاء ، فلا كبا بمؤلفه الفرس ، ولا جمح به القلم ، ولاند منه معنى ، ولانفرمنه لفظ ، وهو وإن كان صغير الحجم لكنه والحق يقال ، غزير المادة ، متين التراكيب ، رشيق الأساليب ،

فلا يمل قارئه ، ولا يضجر سامعه ، جمع من المحاسن أعلاها ، ومن الدرر ما يبعث فى النفوس نشاطا ، وفى الهمم يقظة ، وفى الروح خفـة ، يذهب بالقارىء الكريم الى مختلف الصور الحيوانية الرائعة ، التى تستدعى تفكيرا واسعا ، وتتطلب فهما دقيقا ،

وبالاختصار فأن مؤلفه ألبسه من الجديد تاجا هو أنشودة كل متعلم ، وسلوة كل متأدب ، فجاء برهانا ملموسا على حسن التطور العلمى ، الذى ينشده كل مصرى صميم ، وكل محب لخير مصر وأهلها .

أحسن القصص

نظم حضرة الشاعر المجيـد خالد بن محمد الفرج

صفحاته ١٣١ بالقطع المتوسط

اطلعنا على هذا السفر الجليل ، فأعجبنا بمافيه من رقة المعنى ، وجزالة اللفظ ، وقد توخى فيه ناظمه مدح وسيرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها . وقد جمع من الحوادث التاريخية للأمة العربية الحديثة ، ووقائعها مع بعض القبائل مايلذ القارىء ، ويتملك مشاعره ، ويستهوى فؤاده مع سهولة التناول ، وتجنب الحشو فى بحوره الصغيرة ، وروعة قوافيه غير النافرة ، فلا عجب اذا كان حضرة الشيخ خالد الفرج وفق الى هـــذا الأبداع ، وحافظ على تراث أهله وأمته . ومما جاء فيه قوله فى (سفر الخلود)

ليس عمر الفتى وان طال عمرا
سوف يلقى الفنا وان عاش دهرا
انمـا العمر أن يخلف ذكرا
سائرا فى الورى علاء وفخرا
فاجتهد أن تنال ما هو أحرى

ثم سطر بالجد باسمك سطرا   فى سجل الخلود والأعمار

وردتنا عـدة كتب ومنها كتاب أوراق الورد للسيد مصطفى صادق الرافعي . وسنكتب عنها فى الأجزاء المقبلة

مملكة المرأة والبيت

إلى المتفرنجات

جاء فى بعض الأمثال أن صـــديقك المخلص هو الذى يرغمك على الدواء المر اسراعا بك الى الشفاء .

على هـذا القياس رأينا أن نقـدم لفتياتنـا ما نراه مصلحا لأحوالهن من نصائح الأدباء ، وأقوال الحكماء ، مهما كان فى ذلك من شدة وغضاضة ، مادام أن ذلك يؤدى بفتياتنا الى مانرجوه لهن من خير واصلاح .

كتب أحد الأدباء رسالة الى احدى السيدات المتفرنجات جاء فيها ما يأتى :

قبل أن تجدى ياسيدتى فىاتقان ثيابك ، عليك بترتيب المنزل ، وقبلأن تهتمى بتصفيف شعرك ، رقشعورك ، وقبلأن تسرحى للمتنزهات وأندية الرقص ، سرحىالنظر فى أبنائك المتسكعين فى الأزقة والشوارع .

وقبل أن تتفننى فى الضرب على (البيانو) اضربى جهلك الضربة القاضية .

تعلمى تدبير منزلك سواء أكان قصرا كبيرا أو كوخا حقيرا ، ويجب أن تشفقى على زوجك الذى يكابد المتاعب ليجنى لك ما تتنعمين به قبل أن تفكرى فى شراءمختلف ألوان الثياب وغـير ذلك من المطالب المرهقة التى تطرد السعادة من البيت حيث يحل محلها المنازعات والمشاحنات المؤدية الى مهاوى الشقاء .

إزالة الرطوبة من الأحذية

إذا ابتل حذاؤك من مطر أو ماشابه ذلك مما يجلب الرطوبة إلىالجلدفلا تعرضيه إلى النار لأن ذلك يشقق الجلد و يتلفه . والطريقة الحسنى هىأنتضعى فيه كمية من بزر القرطم فأنه يمتصها ويمكن استعمال الكمية الواحـدة فى أكثر من مرة ولا بأس إذا عرض « القرطم » لنار خفيفة قبل الاستعمال

تنظيف الأوانى الفضية

لأجل تنظيف الأوانى الفضيـة يصب عليها جانب من اللبن الرايب حتى يغطيها وبعد قليل من الزمن تؤخذ الأوانى وتغسل بالمـاء الساخن ثم تنظف بخرقة نظيفة أو قطعة من الجلد الناعم فتظهر لامعة .

العلوم والفنون

اكتشاف سيار جديد

«كل شيء الآن عادي» هذا ما كتبه الأستاذ لوسيان ريدو عند اكتشافه لسيار جديد يلي السيار «نبتون» وهو تابع للمجموعة الشمسية، وذلك في مرصد «لويل» بالولايات المتحدة في أول سنة ١٩٣٠. ونظرا لبطء هذا السيار العظيم في سيره لم تكف المشاهدات الأولى في تقدير نوع وشكل مداره تقديرا مضبوطا، ولكن الأبحاث التي تلت ذلك أظهرت أن بلوتور (وهو الاسم الذي أطلق على هذا السيار) سجل في صور خاصة أخذت قبل ذلك في سنة ١٩١٩. وقد أظهر مرصد «ليك» بالولايات المتحدة أن مدار هذا السيار لا يوازي في سيره مدارات سيارات المجموعة الشمسية الأخرى، بل يميل بمقدار ١٧ درجة على المستوى الذي تتحرك فيه هذه السيارات. كما أنه يبعد عن الشمس بعدا شاسعا أي بمقدار ٤٤١٧ مليون كيلو مترا (٢٧٦٠ مليون ميلا) وعلى ذلك يكون بعده عن الشمس قدر بعد الأرض عنها بنحو ٢٩ مرة ونصف مرة. ويتم دورته مرة في كل ٢٤٩ سنة. وفي هذه الأيام يرى هذا السيار متحركا ببطء ومتجها نحو أقرب نقطة للشمس (الحضيض الشمسي) وهي التي مر عليها آخر مرة في سنة ١٧٤٠ م. وباكتشاف هذا السيار اتسعت أمام أنظارنا مملكة الشمس، حتى أنا لو وضعنا أنفسنا في أبعد كوكب لها، لظهرت لنا نقطة من الضوء كأحد النجوم الكبيرة التي نراها.. ليلا

الكتابة على الزجاج

يمكن الكتابة على الزجاج بقطعة من «الألومنيوم» تلف لفا لولبيا حتى تصير مثل القلم وتكتب بطرفها الحاد. ويلزم تندية الزجاج قبل الكتابة بالتنفس عليه أو بغسله بمحلول سليكات البوتاسا الشرابي وغسل المحلول بعد ذلك بالماء. فيصبح سطح الزجاج معدا للكتابة عليه بالألومنيوم

بين المعرفة وقرائها

(الحضارة والمدنية)

(القاهرة . مصر) محمد سعيد بخت ولي — ما الفرق بين كلمتى مدنية وحضارة وما مدلولها المصطلح عليه الآن وفى أى تاريخ كان ؟

(المعرفة) الحضاره خلاف البداوة والمدنية هي التخلق بأخلاق أهل المدن وتستطيع أن تفهم من هـذا أن البدوى قد يسكن الحضر فيقال له متحضر ولا يقال له متمدين إلا إذا تأثر بالعادات والتقاليد التى عليها أهل المدن مضافا إلى هذا كله الألمام بالنواحى العلمية والصناعية والفنية وعلى هذا صح قولهم المدنية المصرية أو الآشورية لا الحضارة المصرية أو الآشورية . على أن مدلول كلمة مدنية أصبح أعم وأشمل عن ذى قبل فصارت تستعمل للمنتوجات العقلية بجميع أنواعها وكذا الاختراعات الطبيعية وغيرها . ولم يعرف هـذا اللفظ — بالمعنى المصطلح عليه الآن — إلا منذ قرن تقريبا ، ولم تدرج هاتان الكلمتان بالمعنى المصطلح عليه الآن — فى قواميس اللغة العربية ، ولكن الفرنسيين أدرجوها فى قاموس الاكاديمى عام ١٨٣٥ ميلاديه فقط .

(أهم الكتب الصوفية)

(الجيزة) عبد الفتاح كامل المصرى . — لى شغف عظيم بقراءة الكتب الصوفية فما هى أهم الكتب العربية التى أرجع إليها فى هذا .

« المعرفة » إن الكتب التى وضعت فى التصوف كثيرة جدا حتى تكاد لاتقع تحت حصر ، والمخطوط منها أكثر من المطبوع ، وإذا كان ولا بد من تحديد بعضها على أنه أهمها - فيكون « الفتوحات المكية » لابن عربى بل ومعظم مؤلفاته أيضا ، وهى أكثر من أربعمائة ، و كتاب « اللمع » للطوسى والرسالة القشيرية ، وقوت القلوب لأبى طالب المكي ، والأحياء للغزالى ،

« فى أى جامعة يتعلم ؟ »

(المنصوره) حسن سلطان ـ أملك ثمانين جنيها وأريد الذهاب لأمريكا لأتعلم فى أحدى جامعاتها الزراعيه . فأى جامعه أختار ؟

إن الجامعة المعروفة بشهرتها فى الزراعة ، هى جامعة كاليفورنيا فى أمريكا وقياسا على تلك الشهرة ، تكون أفضل جامعة تختارونها . ومع كل يجب استشارة اختصاصى فى ذلك ، أو أحد الذين تعلموا فى جامعات أمريكا على الأقل .

الحب والزواج

(حلوان مصر) عبد اللطيف منجودى ــ أيهما أحسن : الزواج المسبوق بحب أم الزواج بدون حب ، وهل أبقى على العشرة الزواج بفتاه أصغر أم أكبر ؟

(المعرفة) الزواج الذى يسبقه حب مسألة فيها نظر عند أكثر الناس ، ولكن بما أن الحب أثمن شىء فى الحياة ، بحيث لا تستغنى عنه بحال ما ، فأنا نرى الزواج الذى يسبقه الحب خـــيرا من زواج لا يقوم إلا على المصالح المادية أو ما شابهها . ونقصد بكلمة « الحب » ذلك النوع الروحى أو العذرى الشريف الطاهر ، وإلا فهو شر مستطير .

أما أيهما أبقى للعشرة : الصغيرة أم الكبيرة ؟ فهذا يختلف باختلاف التربية والطباع والأخلاق ، والمناخ والصحة دخل فى هذا . على أنه يفضل على كل حال الزواج بفتاة تكون أصغر سنا من الزوج بقليل .

(اختراع الكتابة والقراءة)

نرجو صاحب هذا السؤال أن يرسله إلينا ثانيا موضحا عليه اسمه وعنوانه ، أو مرموزا إليه بحروف على أقل تقدير .

(كيف استقبلت مجلة المعرفة ؟)

أشار علينا كثير من حضرات أصدقائنا المخلصين وبعض زملائنا الصحفيين الأوفياء ، أن نذكر لقرائنا الكرام طرفا مما كتبته الصحف والمجلات وبعثت به الهيئات العلمية ، وما ذكره القراء وقاله الكتاب عن مجلتنا

فكان جوابى على هذا كله ، أن أدع ذلك للزمن وحده فهو الكفيل ببقاء فكرة أو عدمها ، والعمل نفسه يعلن عن نفسه ، غير أنهم تغلبوا على أخيرا بما تحمل لى قلوبهم من إخلاص مكين ، وحب متين ، فرأيت لذلك كله أن أنزل على رغباتهم ، وأذكر طرفا مما قيل : —

أولا — صحافة مصر

قالت جريدة الأهرام الغراء فى ١٠ مايو سنة ١٩٣١

« أصدر الأديب الفاضل الأستاذ عبد العزيز افندى الاسلامبولى مجلة كبيرة الحجم جليلة القيمة سماها « المعرفة » وجعلها ميدانا لآراء كبار العلماء والكتاب والمفكرين

وقد صدر العدد الأول منها بصورة تبعث على الأعجاب فنتمنى لها ماتستحقه من ذيوع وتشجيع ونثنى على همة صاحبها الفاضل »

وقالت جريدة المقطم الغراء فى ٦ مايو سنة ١٩٣١

« أهدى إلينا حضرة الأستاذ عبد العزيز الاسلامبولى العدد الأول من مجلته « المعـــرفة » فتصفحناه فألفيناه حافلا بطائفة كبيرة من المقالات المدبجة بأقلام أفاضل المنشئين وقد جعلت المجلة شعارها : « اعرف نفسك بنفسك » وجعلت من أهم أغراضها « ربط البلاد الشرقية بعضها ببعض أولا ومن ثم ربط الشرق بالغرب ثانيا »

وهى مجلة شهرية جامعة مزدانة بالصور الكثيرة وموضوعاتها ...... وغير ذلك .... إلى أن قالت فنرجو للمجلة الانتشار ليستفيد القراء »

وقالت جريدة أبو الهول الغراء فى ١١ مايو سنة ١٩٣١

« المعرفة » صحيفة عامرة بشتى المباحث الأخلاقية والاجتماعية والعمرانية والأدبية يشترك فى تحريرها نخبة من الأساتذة المتضلعين فى مختلف العلوم والفنون

وهى تصدر مرة واحدة فى كل شهر وقد تصفحنا العدد الأول منها الذى صـدر فى أول شهر مايو سنة ١٩٣١ فوجـدناه مكتبة عامرة بكل مايهم الطالب الناشىء . والعالم المتضلع والأديب النابغ

فنثنى على صاحبها الأستاذ عبد العزيز الأسلامبولى لما يبذله فيها من جهد ونرجو لها ماهى جديرة به من ذيوع وانتشار »

وقالت جريدة الرشديات الغراء فى ١١ مايوسنة ١٩٣١

« المعرفة » عنوان مجلة حملها البريد إلى إدارة هذه الجريدة وقد تصفحناها فأذا بالعدد الأول منها نسق على طريقة منافسة أكبر المجلات المعروفة فى الشرق من حيث الحجم أولا ثم غزارة المـادة وحسن التبويب واختيار الكـتّـاب ممـا دل على تمـام (المعرفة) بمـا تستلزمه الحالة الأدبية وتتطلبه الثقافة العامة لمصر والشرق

زد على ذلك تفـــنن إدارة التحرير فى توزيع الصور والرسوم على المقالات والموضوعات واختيار الورق الناعم الجميل والأحرف الناطقة

تصفحنا العـدد الأول فكان له فى النفس فرحة لأن مجال المجلات عندنا فى حاجة إلى (المعرفة) بالطريق الأقوم لتغذية النفوس بشتى المعارف وتنظيم الفـكرة إلى حيث تسمو بالمطالع وتخرج به من ضعف المـادة إلى قوة العلم

وقد كان هذا العدد بشيرا بحياة مجلة (المعرفة) حياة تسير بها بين الشباب المتعلم حين يحس دائما بحاجته إلى تأبط أعدادها واقتطاف ثمار العلم من ينبوعها

ولا يسعنا إلا أن ننقل عن العدد الأول لقرائنا نموذجا لمـا نشر فيها من قيم المباحث وغزير الموضوعات حيث تراه فى غير هذا المكان مؤملين أن تنال هذه المجلة ماتستحقه من الأقبال والذيوع ونستطيع أن نشكر صاحبها الأستاذ عبد العزيز الأسلامبولى فهو قد قام بواجبه الصحفي خير قيام داعين له بالثبات والتوفيق .

وقالت جريدة الشورى الغراء فى ٦ مايو سنة ١٩٣١

« أصدر الأستاذ عبد العزيز الأسلامبولى مجلة (المعرفة) فى القاهرة . وقد جاءنا الجزء الأول منها فأذا هى من أرقى ماصدر بالعربية من المجلات العلمية الأدبية المصورة ، فى ١٢٨ صفحة ، بأقلام جماعة من أكابر كتاب مصر . فنرحب بالزميلة الجديدة ونحض على مطالعتها »

ثانيا — الصحافة الشرقية

قالت جريدة « مرآة الشرق » الغراء التى تصدر فى القدس فى ٢٦ ذى الحجة سنة ١٣٤٩ مايأتى : —

وصلنا الجزء الأول من مجلة المعرفة لصاحبها ومحررها الكاتب الأديب الأستاذ عبد العزيز الأسلامبولى وهى تحتوى على مقالات لأشهر كتاب مصر — ثم ذكرت أسماء حضراتهم إلى أن قالت : ممايدل على أنه سيكون لهذه المجلة مستقبل كبير زاهر وأنها ستسد فراغا فى عالم الأدب العربى فنحن نهنىء صاحبها على هذه التحفة التى أتحف بها أبناء أمته ونرجو لمجلته الرواج والانتشار .

وقالت « الأهالى » الغراء ، التى تصدر فى حلب فى ٣٠ ذى الحجة سنة ١٣٤٩

« تناولنا فى البريد الجزء الأول من مجلة (المعرفة) التى يصدرها حضرة الأستاذ عبد العزيز مصطفى الأسلامبولى فى مصر ، وهى تبحث فى العلوم والفلسفة والأخلاق والأدب . وقد تصفحناها فوجدنا فيها الضالة المنشودة لتثقيف الأفكار وتنوير الأذهان ، فنحث القراء على اقتنائها ونرجو لها ازدهاراً ونجاحا تامين »

ثالثا — المعاهد والهيئات العلمية

وتفضلت الجامعة الأمريكية ، فأرسلت الينا كتابا رقيقا ، مكتوبا باللغة الانكليزية وبأمضاء جناب عميد الكلية المحترم الدكتور ماكلنهلد ، نقتطف منه العبارات الآتية :

اسمح لى بأن أشكرك على تفضلك بأرسال نسخة من مجلتك « المعرفة » واذا استطعت أن تثابر فى السنين المقبلة على هذا القياس ، بمثل ماجاء فى العدد الأول .

فأنك بلا شك تستحق بجدارة واستحقاق ، أعظم تهنئة وأكبر اعجاب

واسمح لى حقيقة ، بأن أهنئك على هذا المجهود ، المتجلى فى العدد الأول ، المملوء بالأبحاث العالية الشيقة جدا . وان هذه — حقيقة — هي الأيام التى يدرس فيها الجمهور المصرى الموضوعات الهامة التى ترتبط بحياتهم الفردية والوطنية

وانى آمل أن مجلتك سوف تعنى كثيرا ، بترقية روح الحرية الفكرية واختيار المثل العليا ، فى عالم الحقائق الاجتماعية والاقتصادية وغيرها ، مما يعود على شعب هذه المملكة بالخير . وسأضع هذا الجزء فى مكتبة الكلية ليستطيع طلبتها اقتطاف ثماره وفوائده القيمة

ودعنى أكرر لك الشكر ثانيا ، على عنايتك بتذكرى واتحافى بهذا الجزء القيم ؟

رابعا — حضرات الكتاب

كذلك أرسلت الينا دار الكتب المصرية كتابا رقيقا تشكرنا فيه على اهدائنا إياها « تلك الهدية العلمية » وترجو أن نرسل اليها ما يستجد من أعدادها أولا بأول استكمالا لمجموعتها بالدار والخطاب بأمضاء حضرة مدير الدار وتاريخه ٣١/٥/٧

أرسل الأستاذ الكبير عبد الرحمن بك الرافعى كتابا رقيقا بتاريخ ٢٠ مايو سنة ١٩٣١ جاء فيه : —

تحية وسلاما وبعد فأنا شاكر لكم هديتكم القيمة (مجلة المعرفة الجزء الأول) وقد قرأته واقتنيته قبل أن تصلنى الهدية فأعجبت بما اشتمل عليه من المقالات الجليلة والأبحاث الممتعة وبما تبذلونه من الجهد والهمة ومضاء العزيمة فى تحرير هذه المجلة الجامعة واخراجها . أسأل الله أن يسدد خطاكم ويكتب لكم التوفيق فى متابعة هذا العمل العظيم .

وكتب السيد محمد الغنيمى التفتازانى يقول « ستكون المعرفة مرجعا لذوى الفضل وأهل العلم فى الحركة العلمية والأسلامية »

هذا بعض ما وصلنا نشرناه شاكرين للجميع ونعتذر عن نشر البقية الآن لضيق المجال مقدرين لحضراتهم نبيل عواطفهم . والله أسأل أن يحقق لنا ولهم مافيه الخير والفلاح ؟